حاجتنا الى تطور تربوي

في سبيل استقلال عقلي

بقلم نسيم نصر

بعد ان استقام لذوي الكفاءات العلمية والحصيلات الاختبارية ان اعتبار التربية الوطنية عملية تكييف شاملة بين الانسان وبيئته ، كان لا بد من اعتماد اساس تقوم عليه هذه العملية التربوية قياما علميا مدروسا . وفى مجال البحث عن هذا الاساس نمضي فى مراقبة الاوضاع الاجتماعية ومقومات الدولة فى الاقطار العربية . فماذا نجد ؟ نجد ان فقدان الاستقلال العقلي او ضيقه على الاقل ، هو السبب الاعمق جذورا فى ابقاء اهل هذه البلاد كجماعات ، فى مستويات ادنى بكثير من التي اليها يطمحون والى بلوغها يتشوقون ، كافراد . ولكي نستطيع تقوية هذا الاستقلال العقلي علينا ان نعالج شؤوننا الخاصة والعامة على مبدأ : « الحياة ملك لكل جيل يحيا اليوم او غدا ،مثلما كانت ملكا لاجيال مضت » .

وعملا بضرورة التطور البناء يجب ان يضيف كل جيل الى الانسانية قبسا من ذكائه وهبة من استقلاله العقلي . وفى سبيل الافادة من عطائنا نجدد المكيف ينبغي ان نقنع مجمدي قيم الحياة ومحديها فى نطاق الموروث ان الانسانية نفسها ذات آفاق واعماق لا يحيط بها تفكير احاطة شاملة، ولا تستطيع اية محاولة مهما بلغت شدتها واستبد عنفها ، ان تحد من مضاء العبقريات المولدة الحرة ، او ان تكبت النفوس الجبارة المخططة لاجيال جديدة . ومن نظر في عبر التاريخ ، التي حفلت احداثها بالدروس القاسية، ادرك ان كل المحاولات الطاغية المحدة من انطلاق الفكر الانساني انتهت الى خيبات فادحة خرج العقل البشري منها كلها ليجوب ميادين حريته ويبني صروح استقلاله .

ونحن ، بين ولائنا لقديمنا وحرصنا على روابطنا به ، وبين حركاتنا التقدمية ومجاراتنا الاممية فى بناء نظام جديد، نحن ، فى هذا كله ، مرتهنون مرة لاستقلالنا العقلي واخرى لعواملنا الشعورية . ومن هذا الارتهان تبدأ النظرة الباحثة عن اعمق الاسباب جذورا واخطرها اثرا ، فى بناء الاوطان بالنسبة الينا . وهنا تجب الاشارة الى ان مهمة التربية على سعة متناولاتها ولباقة السعي فى جعلها كفيلة بايجاد نشء فى وسعه السير بعجلة الحياة ، فى سواء السبيل ، الى حيث حسن المصير ، ولا تستطيع ان تخلق جديدا فى من تحوطهم بعنايتها البارعة الحديثة ، ولكنها تستطيع ابداعية تكييف يبدو ، وكأنه عملية خلق جديد . وانه لمن الخير ان تبدأ عملية التربية بتوفير الجو الملائم وتعبئته بكل ما يساعد على النمو السليم . اذ كثيرا ما يكون الاخفاق فى تربية ناشىء نتيجة لعوامل غيرية اكثر منها ذاتية ، او بتعبير اسهل ، خارجية اكثر منها داخلية . ولذا تبدو ضرورة توفير المعلم خبيرا بطبائع التلاميذ عالما بما يكونون وبما يطرأ عليهم فى كل مرحلة من مراحل نموهم الجسدي والذهني ليستطيع الاخذ بايديهم فى دروب التنشيء المكتنفة بالمفاسد المهددة بالاهواء . ولا بد من ان تتوفر فى هذا المعلم ، الى جانب كفاءته فى ادراك ما هم فيه تلاميذه من مختلط المؤثرات والعوامل ، الاناة المكملة للعلم والرحمة المحيطة بوسائلها انسان الغد الذي نريده نظيفا من رواسب القسوة عليه . ولئن تجاوز المربي المجرب عنصر الرحمة الى الشدة في تأديب بعض الصغار احيانا ، فان ذلك لا يعني قاعدة وانما يتناول شذوذا ، اذ القاعدة الوسيعة التي عليها يجب ان نبني نشأنا يجب ان تقوم على ايجابية العقل الهادىء لا على سلبية الخوف المقلق .

ولعل افضل ما نقف عنده لنتحرى فيه مواطن الاصابة والخطأ تربويا هو اعتبارنا ، مثلا ، الصف المؤلف من ثلاثين طالبا وحدة مدرسية بالمعنى الجامع لكلمة الوحدة فى نطاق المدرسة . غير ان الامر ليس كذلك ، فمن جعلناهم وحدة مدرسية ، بعد الاطلاع على درجات معارفهم بالعلوم واللغات والرياضيات وما الى ذلك من التحصيل الحرفي ، فانهم ليسوا كذلك بالنسبة الى ذواتهم كافراد . فعلى المعلم ان يكون ذا المامة بعلم النفس يقرنها بشيء من نفود البصر فى التوسم ، مستفيدا ، فى كل حال، من بوادر تلاميذه وتخيلاتهم ومتفاوت ما يبدون من جرأة او تهيب ، ومختلف ما هم فيه من حدة او بلادة . ذلك لان التعميم الذي يجعله علم النفس قاعدة لا بد له من أن يخرج الى التخصيص عند التطبيق . فالمعلم المربي هو من نريده ليترجم حالة كل تلميذ مضيفا فى هذه الترجمة ، ثاقب نظره وحكيم تجربته الى صحيح معرفته بالمقاييس المتناقلة علميا . وهكذا يتضح ان المعلم لا يستطيع ان يكون ناجحا من الناحية التربوية الحديثة ان لم يكن ذا مؤهلات خاصة يذيبها من المقتبسات العامة ، ليتحلى بها معلما يدرك ان كتاب التدريس المعرفي قد يكون واحدا لثلاثين طالبا فى صف واحد ، ولكن كتاب الطبائع والمسالك قد يكون واحدا من افراد هذا الصف . وكثيرا ما يقتضي بعد النظر التربوي ان نتناول شخصية ناشىء بمقاييس واعتبارات تختلف ، سنة بعد سنة ، وفقا لمدارج تكامل الشخصية فى منابع مراحل نمو الجسم ، وما يتصل بهذا النمو من تقلب وتطور فى الذات الانسانية . ويجب الا ننسى اقامة بعض الفارق التربوي بين التلميذ والتلميذة، ولا سيما فى سن المراهقة .

ومما يزيد فى صعوبة مهمة التربية فى البلاد العربية اليوم، هو ما يقوم بينها من تباين فى الظروف الاجتماعية والاقتصادية والعوائد الاسرية . وهذا ما يحمل على القول احيانا ان مهمة المعلم ، فى بعض بلادنا اليوم ، تبلغ حد الاعجاز فى صحيح تطبيقها .

ليس لنا سواه

سألناه يرحل عن دربنا — ويزرع في دربنا سوسنا
يظل ارتحال النسيم حنينا — اليه ، فقد عاش في قلبنا
وكل الطيور ، اذا رفرفت — باجنحة الشوق في حيننا
تميد على دارنا وتغني — فنبكي جوى ونذوب منى
وددناه طفلا سني الحياة — يعب وينعم من ودنا
ولو ان خاطرة من سحاب — اراد ، لكانت لديه جنى
منحناه دنيا سماح وراقت — لعينيه اجواؤنا واغتنى
فنسماته زهرات الوداد — وضحكاته اي فجر لنا
ودام له صدرنا مرتعا — ودام له قلبنا موطنا
وما في الفؤادين غير النقاء — ونبع الصفاء وغمر السنى
ومن مقلتينا تضيء النجوم — تخيم . تحنو على روضنا

وغامر !! كيف يروح ويقسو — ويااما توله في حبنا
سيذهب صيف ويسطو خريف — ويهمي شتاء على حلمنا
وتذبل ازهارنا وتموت — وترعش في البرد اطيارنا
ولا من يحب ، وليس لنا — سواه يعيد ربيع الهنا
يظل ارتحال النسيم حنينا — اليه ، فقد عاش في قلبنا

الاردن — **موسى صرداوي**

واذا كانت التربية الحديثة تهدف الى البلوغ بالناشيء اقصى مستطاعه عقلا وشعورا كان علينا ان نأمن ، اول ما نأمن ، خطر الطغيان الشعوري على المتناولات العقلية . ومن عرفنا ان النمو وليد النشاط والحركة ، وسواء في ذلك نمو الجسم ونمو الفكر ونمو الشعور ، كان على المعلم ان يحرص على التعادل والتكافؤ في عناصر هذا المركب البشري في عضويته وذهنه ، في افهامه واحلامه . وهكذا نرى ان التعليم لا يكون مجديا جدوى بناءة وطنية اجتماعية . الا بتربية التجربة الشخصية ، وتقويتها بالتفاعل والتجارب السابقة ، لتتكامل في نطاق الجماعة تكاملا لا بد له من ان يطبع اثره المشترك في نفوس من كانوا منذ حين متبايني النزعات متفرقي الافكار والمشاعر .

غير ان النطاق المدرسي ما يزال مكشوف الجوانب لنزوات شعورية تمتد اليه فتفسد على المعلم مسالك العقل التي يسلكها وتعصف باساس الشخصية المواطنة التي شرع في بنائها . واخطر هذه النزوات ما كان منها صادرا عن طائفة جامحة او اقطاعية مهيمنة . وتلافيا لذلك الجموح الطائفي وهذه الهيمنة الاقطاعية ، كانت المناهج العلمانية وكانت العلوم الاجتماعية اجدى ما يعتمد لمثل هذه الاخطار الوطنية . وبما ان المناخ الروحي في بلادنا ما يزال مشحونا بالموروث من العصبيات الطائفية ، التي ، عملا على تهدئتها ودرء ثورتها ، احللناها مكان الاحزاب السياسية ، فليس لنا ان نأمن الى هذا الاستبدال الذي تختل معه المعادلة ايجابية العقل وسلبية الشعور . وخير ما نفعله في هذا الركن من التطور التربوي ، ريثما نتهيأ لتقبل العلمنة ونهيء لها ، هو ان نخضع مناهجنا لهذه العبارة الحكيمة : « الدين لله والوطن للجميع . » ولكن ايجابية العقل التي نربيها ضمانة لقيادة جيل جديد ، علينا ان ندفع عنها خطر فلسفات مستحدثة ، تهوي بها الى ظلمات من الالحاد ، حيث ينقطع الرجاء من الاستمتاع بنبل الحياة كما ارادها الله .

واما العلوم الاجتماعية فهي المعول عليها في الاستشفاء من امراض الطبقية . ففي ظل النظام الديمقراطي الذي نسعى جميعا لتركيز اساسه في بلادنا ، يجب ان تتاح الفرصة لمتنوع الكفاءات في ممارسة نشاطها على الميادين العامة ، انتفاعا بها وافسادا لها . فاذا بلغ اهتمامنا التربوي هذا المبلغ من التطلع على هدي العقل وامانة الرسالة ، في ايمان بالله وبالانسان وبالوطن ، عندئذ نطمئن الى ان الاجيال الطالعة هي في طريقها الى غد افضل .

نسيم نصر

حـدائـق وفيقـه

بـدر شـاكر السياب

البصرة ـ العـراق

- ١ -

لو فيقـه
فى ظلام العالم السفلي حقـل
فيـه ، مما يزرع الموتى ، حديقه
يلتقي فى جوها صبـح وليـل
وخيـال وحقيقه .
تنعس الانهار فيها وهي تجري
مثقـلات بالظـلال
كسلال مـن ثمـار ، كدوال
سرحت دون جبـال .
كـل نهـر
شرفة خضراء فى دنيـا سحيقه .
ووفيقـــه
تتمطى فى سرير مـن شعـاع القمر
زنبقي اخضر
فى شحوب دامـع فيه ابتسام
مثل افق مـن ضياء وظلام
وخيـــال وحقيقه .
اي عطـر من عطور الثلـج وان
صعدته الشفتان
بيـن افيـاء الحديقـه
يـا وفيقـه ؟

تخالها تلوح فى القرار
من جدول احاله النهار
صـدى مـن الميـاه مقمرا .
كأن عشتروت آض فوقها الحجـار
صفائحا من الزجاج ، اصبح الثرى
ذرا من الضياء والغبار .

والحمـــام الاسود
يا له شـــلال نور منطفى !
يا له نهر ثمار مثلها لم يقطف !
يا له نافورة من قبر تموز
المدمى تصعد !
والازاهير الطوال الشاحبات الناعسه
فى فتور عصرت افريقيا فيه شذاها
ونداها .
تعزف النايات فى اظلالها السكرى عذارى
لا نراها
روحت عنهـا غصــون هامسه .
ووفيقـــه
لم تزل تثقل جيكور (١) رؤاها .
آه لو روى نخيلات الحديقه
من بويب (٢) كركرات ! لو سقاها
منه ماء المد فى صبح الخريف !
لم تزل ترقب بابا عند اطراف الحديقه
ترهف السمع الى كل حفيف .
ويحها ! ترجو ولا ترجو وتبكيها مناها .
لـــو اتاها !!
لو اطال المكث فى دنياه عاما بعد عام
دون ان يهبط فى سلم ثلج وظلام !!

هناك حين يهبط الميت فى سكون
يسمر العيون
على شموس تنشر الظلام .
هناك يستنيم ، فى محفة الغصون ،
شذى اذا تنشقته روح ميت غفا
لــه ، ونـــام
شعوره القديم واستراح للقتام .

ووفيقـــه
تبعث الاشذاء فى اعماقها ذكرى طويله
لعشيش بين اوراق الخميله
فيه من بيضاته الزرق اتقاد
اخضـر
(اي امواج من الذكرى رقيقه !) (٣)
كلمـا رف جنـاح اسمر
فوقها والتم صدر لامعات فيه ريشات
طـويلـه ،
اشعل الجو الخريفي الحنان
واستعاد الضمة الاولى وحواء الزمان .
تسأل الاموات عن جيكور ، عن اخبارها
عن رباها الربد ، عن انهارها .
آه .. والموتى صموت كالظلام
دون ذكرى ، اعرضوا عنها ومروا فى
ســلام

وهي كالبرعم تلتف على اسرارها .
والحديقـــه
سقسق الليل عليها فى اكتئاب
مثل نافورة عطر وشراب
وخيـــال وحقيقه .
بين نهديك ارتعاش ، يـا وفيقه ،
فيـــه برد الموت باك ،
واشرأبت شفتـــاك
تهمســان العطر فى ليـــل الحديقه !

(١) قرية الشاعر وقرية «وفيقه»
(٢) نهر فى القرية
(٣) البيت لي وليس مضمنا

البصرة — بدر شاكر السياب

الادب العربي ودوره في تطور المجتمع العربي

بقلم الدكتور شكري عياد

●

حين تفضل مركز تنمية المجتمع فى العالم العربي بدعوتي لكتابة هذا البحث ، كان العنوان الذي اضعه هنا احد عنوانين مقترحين لموضوع هو ، فى اغلب ظني ، موضوع واحد. وكان العنوان الثاني — او على الاصح العنوان الاول — هو : «الادب العربي الحديث كمرآة فى تطور المفاهيم الخاصة بتنمية المجتمع » .

وقد وقفت مدة امام هذين العنوانين ، وكان رايي ان وضعهما معا لا يخلو من دلالة وان كان الموضوع واحدا . فقد لاحظت ان المركز اراد ، بكثير من السماحة ، ان يترك لي الحرية فى تناول الموضوع من احدى الزوايا الاربع التالية ، او من بعض هذه الزوايا ، او منها جميعا ، وهي :

اولا — الزاوية التاريخية ، ببيان الدور الذي قام به الادب الحديث حتى الان فى تهيئة العوامل النفسية ، التي يعدها الاخصائيون الاجتماعيون ركنا من اركان الاصلاح الاجتماعي ، ويهتمون ، تبعا لذلك ، بمعرفة المؤثرات المختلفة فى توجيهها .

ثانيا — زاوية المستقبل او الامكانية . ببيان ما يستطيع الادب ان يقوم به نحو تهيئة تلك العوامل فى الحاضر والمستقبل . وهذه زاوية لا تقل اهمية عن الزاوية الاولى، وقد تمتاز عليها من ناحية الشمول والتنبؤ باتجاهات المستقبل او محاولة التأثير فى هذه الاتجاهات ، وان جاز ان تخضع لنظرة الكاتب الخاصة الى وظيفة الادب فى الحياة.

ثالثا — الزاوية العامة . ببيان ما عسى ان يكون هناك من روابط بين الادب وبين مفاهيم التطور الاجتماعي وجه عام . والبحث من هذه الزاوية يناسب الميل الادبي الى تناول المشكلات الاجتماعية على جهة التعميم كما انه يساعد الاخصائي الاجتماعي على فهم الاطار العام للتطور الاجتماعي، الذي تعالج مفاهيم تنمية المجتمع نواحي خاصة منه ، من زاوية خاصة وهي زاوية الادب .

رابعا — الزاوية الخاصة . ببيان ما عسى ان يكون هناك من روابط بين الادب وبين مفاهيم تنمية المجتمع بالذات ، باعتبارها شكلا خاصا من اشكال التطور الاجتماعي . والبحث ، من هذه الزاوية ، متصل اتصالا مباشرا بعمل الاخصائيين الاجتماعيين .

وكذلك كان من آيات السماحة ، والمرونة أيضا ، من قبل القائمين على الاعداد لمؤتمر المركز انهم شاءوا الا يلزموا الكاتب وجهة نظر معينة فى مسألة صلة الادب بالمجتمع ، تلك الصلة التي طال حولها الخلاف قديما وحديثا ، فكان احد العنوانين يحمل اشارة الى ان للادب « دوراً » فى تطور المجتمع ، والعنوان الثاني يشير الى ان الادب « مرآة » لتطور المجتمع فحسب .

وقد رأيت ان احاول ، جهد الطاقة ، معالجة الموضوع من زواياه الاربع . وان أقسم البحث اقساما اربعة . تبعا لذلك ، على الرغم من ادراكي لما بين هذه الاقسام من تداخل وتشابك ، فقد رأيت ان هذا التقسيم اعون على تحديد النقاط التي يصح ان تكون موضوع مناقشة مثمرة .

ولكنني ، قبل أن ادخل فى هذه الاقسام ، يجب ان ابين بقليل من الكلمات فهمي لعلاقة الادب بتطور المجتمع . ولا ازعم ان هذا هو الفهم الوحيد لتلك العلاقة ، ولكنه ، على الاقل ، هو فهم معظم المشتغلين بالادب ، الذين يتعاملون مع الحياة من خلال خبرتهم الخاصة فى هذه الناحية من نواحي النشاط البشري .

فالادب نتاج احساس مباشر بالحياة . ومعنى ذلك ان الاديب — مهما تكن افكاره الاجتماعية — لا ينظر الى المجتمع من خلال هذه الافكار . ان الاديب رياضي الاحساس ، اذا جاز لي ان استخدم اسلوب الاستعارة هنا ، فهو يكشف صدره للهواء والشمس ولا يسمح لاي دثار من المعتقدات او النظريات ان يحول اطراف اصابعه الحساسة وبين المؤثرات الطبيعية للحياة. كلما اقترب الادب من هذا المثال كان اقرب الى وظيفته الحقة، وهي ايقاظ الشعور بالحياة. ولا يستنتج من هذا ان جميع ما يسمى ادبا هو كما وصفنا ، فالواقع ان كثيرا من الاعمال التي تأخذ شكل القصة او المسرحية او الشعر، لا تعدو فى الواقع ان تكون دعوة الى افكار معينة او اعمال معينة باسلوب اكثر تشويقا من اسلوب الحكم الصريح او الحض الصريح . ومثل هذه الكتابات التعليمية لها فائدة لا تنكر ، فهي تبتعد الى حد ما عن آثار الايحاء العكسي الذي

● من ابحاث « المؤتمر الاول للخريجين » فى بيروت الذي عقده « مركز تنمية المجتمع فى العالم العربي » — سرس الليان .

يتحدث عنه علماء النفس ، ولذلك نلجأ الى هذه الطريقة كثيرا عندما نريد التأثير فى الاطفال ، والجماهير غير المثقفة الذين يشبهون الاطفال الى حد بعيد فى ضعف قدرتهم على النقد . ومن مزايا هذه الكتابات التعليمية ذات القالب الادبي سهولتها على المنشىء ايضا ، اذا قيست بالتعليم الصرف . فالواعظ الملهم وحده هو الذي يستطيع ان يعظ وعظا يستميل القلوب ، ولكن اي قاص عادي يستطيع ان يصوغ الوعظ فى اسلوب مشوق . ولهاتين الميزتين كثر استعمال المؤسسات التعليمية لذلك النوع من الكتابات

ولكننا حين نثبت للادب التعليمي وظيفة مفيدة ، بل حين نتناول فى عرضنا التاريخي نماذج ادبية تميل كثيرا او قليلا الى جانب التعليم ، يجب الا نغفل عن ان للادب بمعناه الحقيقي وظيفة اخرى أكثر شمولا بالنسبة الى الفئات الاجتماعية التي تخاطبها ، وابقى اثرا من حيث التطور التاريخي ، وان تكن اقل وضوحا من حيث الدلالة على مفاهيم معينة .

المهاد التاريخي

كانت الصبغة الغالبة على الادب العربي فى مطالع العصور الحديثة انه ادب تعليمي .

لا يعنيني ان ابين هنا كون هذه الصفة طارئة على الادب العربي او غير طارئة ، ولا ان افصل الاسباب التي ادت الى سيادتها فى الفترة التي نتحدث عنها ، فهذا كله انما يهم المتخصصين فى الادب دون غيرهم . يكفي القول ان النهضة الادبية التي بدات عندنا منذ اواسط القرن الماضي ، واستحدثت فن المسرح ، وجددت فن القصة ، كانت في معظم الاحيان تجد الغرض التعليمي هو الحجة الطبيعية لوجودها . ونعني بالغرض التعليمي هنا دلالة الادب على مغزى خلقي او اجتماعي او وطني واضح . والذي يهمنا من هذه الاغراض التعليمية انه الى جانب تصوير الفضائل الخالدة كالوفاء والصبر والامانة ظهرت الدعوة الى تعديل اسلوب الحياة . وكان هذا هو الاثر الاول الذي تركه فى الادب احتكاك العرب بالحضارة الغربية . ومما يسترعي نظر المتتبع للنتاج الادبي اوائل عصر النهضة كثرة كتب الرحلات الاوروبية وفى مقدمتها « تخليص الابريز في تلخيص باريز » لرفاعة الطهطاوي ، و « كشف المخبا عن فنون اوربا » لاحمد فارس الشدياق . وتفيض هذه الكتب حماسة مخلصة حين تصور مظاهر الحضارة المادية والثقافية والاجتماعية واركانها عند الغربيين ، وتنبه الى محاسنها مشيرة فى كثير من الاحيان الى ما لهذه المظاهر والاركان من ارتباط بالتقدم الانساني على العموم ، وما بينها وبين مظاهر الحضارة العربية واركانها من اتفاق فى الاصول .

واختار احد الرواد فى هذه الفترة اسلوب القصص ليصور التقاء الحضارتين ، وينبه القراء العرب الى ما فى التقدم العلمي والاجتماعي عند الغربيين من خير كثير ، لا تأباه طبائع الشرقيين ولا اصول معتقداتهم ، وان بدا لهم غريبا للوهلة الاولى بسبب ما اصاب حياتهم من ركود .

واعني المهندس والمربي والوزير المصري علي مبارك فى كتابه « علم الدين » . و « علم الدين » رحلة الى الغرب ايضا ، ولكن المؤلف لا يكتب ملاحظاته المباشرة عن الحياة الاوربية كما فعل اصحاب الرحلات الحقيقية ، بل يستغل اوليات الفن القصصي ليجسم التقاء الحضارتين . فنحن نعلم ان علي مبارك نفسه فر من الكتاب صغيرا ودخل التعليم المدني الذي بداه محمد علي وتخرج فى مدرسة « المهندسخانة » قبل سفره فى بعثة الى فرنسا . ولكن بطله « علم الدين » لم يفر من الكتاب بل تعلم كل ما كان يمكنه ان يتعلمه فيه ثم سافر على مركب شراعي الى القاهرة ، مزودا بدعوات اهله ، ودخل الازهر وواصل الدرس فيه حتى اصبح من علمائه . وهنا فقط يعرض له الاتصال بالحضارة الغربية حين يسأله مستشرق انجليزي كان قد قدم الى القاهرة ان يعاونه فى درس الكتب العربية القديمة . ويتردد « علم الدين » قبل ان يقبل هذا العمل ، ولكنه لا يلبث ان يقبل فكرة جديدة اجرأ من الاولى ، وهي ان يصاحب المستشرق الانجليزي فى رحلة الى اوربا . شخصية « علم الدين » اذن شخصية نموذجية تمثل الحضارة الشرقية فى التقائها الذي يوشك أن يكون مصادفة بحضارة الغرب ، ليس كعلي مبارك الذي نفر بطبعه من اساليب التعليم القديمة في الكتاب ، بل ليس كالشيخ رفاعة الذي اندفع من تلقاء نفسه الى الاغتراف من ينابيع الثقافة الغربية فى فرنسا . والقصد التعليمي فى قصة « علم الدين » واضح لا يبذل المؤلف جهدا ما لاخفائه . فهو يريد ان يعرف القارىء باكثر ما يمكن من النواحي المفيدة او النواحي التي تستوقف النظر فحسب فى الحضارة الغربية ، لينبهه الى ان ما بيننا وبين القوم من اختلاف فى العادات امر غير مستغرب ، نظرا لاختلاف البيئة والطبع ، وان فى علومهم من المنافع ما يدعونا الى درسها وفهم اسرارها ، وهو يفيض فعلا في وصف كثير من الحقائق العلمية ، حتى شرح عمل الالات الميكانيكية التي كان المؤلف خبيرا بها بوصفه مهندسا .

ان الاستعمار الغربي لم يستطع ان يرسخ قدمه فى العالم العربي حتى اواخر القرن الماضي . ولهذا اقبل العرب على الحضارة الاوربية بلا عقد ولا صراع ، يريدون ان يقتبسوا ويستفيدوا ، والا فلا اقل من ان يفهموا فلا ينكروا . ولكن الاوضاع السياسية تكشفت شيئا فشيئا عن استعمار يستغل اقتصاديات البلاد ، ويسعى ، بوعي وبدون وعي ، لتحطيم حضارتها . ومعلوم ان الاستعمار يصدر اردأ ما عنده للبلاد المستعمرة . وهكذا بدات نظرة العرب الى الحضارة الغربية ، تتعقد . فبعثاتهم الى اوربا لم تنقطع ، وكان المسافرون فى هذه البعثات يرجعون متحمسين لثقافة اوربا وعلمها وفنها ، متحمسين لاقتفاء آثار هذه الحضارة فى نهضتنا الحديثة ، كما كان دعاة الاصلاح يبذلون جهدهم للتنبيه الى اسباب التأخر وعيونهم فى اكثر الاحيان على

اوربا ولكن الاتجاه الاغلب فى هذه الفترة كان الى نقد رذائل المدنية الحديثة التي جاء بها الاستعمار الغربي ، وتفشت فى بيئات الاغنياء على الخصوص . وكان الادب يعبر عن هذه الاتجاهات كلها تعبيرا صريحا بالقصة والمقالة والمسرحية ، التي ظل الغرض التعليمي غالبا عليها جميعا . فبينما يعالج جبران مثلا موضوع الزواج غير المبني على الحب ، او نفاق رجال الدين ، يعالج فرح انطون او محمد تيمور او غيرهما من كتاب المسرح موضوع غرام الراقصات ، او الزواج بالاجنبيات . وليست هذه الموضوعات الجزئية سوى علامات على اتجاه فكري عام ، كان يشعر بضرورة التغير الاجتماعي ويحاوله ، ولكنه فى الوقت نفسه يستنكر التغير السطحي المفسد الذي جاء به الاستعمار .

لا يلبث مفهوم الادب ان يتغير عند طائفة كبيرة من القراء ، وهي طائفة المثقفين الذين اصبحوا يعتبرون الادب غاية لا وسيلة . فهم يريدون من الادب أن يكون تصويرا للحياة ، يوقظ شعورهم بها لما فيه من كمال فني ، لا مجرد ثوب لفكرة اجتماعية او غيرها . فبدات تظهر اعمال تخاطب هذا النوع من القراء ، وفى طليعتها « زينب » لمحمد حسنين هيكل ، و « الايام » لطه حسين ، و « ابراهيم الكاتب » لابراهيم عبد القادر المازني ، وقصص محمود تيمور ومحمود طاهر لاشين ويحيي حقي ، ومسرحيات توفيق الحكيم ورواياته . وفى هذه الاعمال لا يظهر المدلول الاجتماعي بطريقة مباشرة كما يظهر فى الادب التعليمي ، ومع ذلك فانها تعكس تطورا اجتماعيا جاريا وتساعد عليه ، وذلك من جملة نواح :

فاولا — ان اهتمام هذه الاعمال بتصوير نواحي الحياة القومية فى الريف والمدينة يدل على اهتمام بواقع حياتنا ومحاولة لتبين ما يجري فيه بدقة وموضوعية . وهي بذلك تعكس النظرة العلمية التي بدأنا نأخذ بها فى كافة شئون حياتنا ، وتدل على ان « التغير » لم يعد مجرد رغبة ، بل حقيقة .

وثانيا — ان هذه الاعمال تبدأ فى معالجة مشكلة التغير الاجتماعي من زاوية الفرد . فتعبر عن الصراع بين «العقل والعواطف» من ناحية ، وبين «التقاليد والظروف الخارجية» من ناحية اخرى . وكثيرا ما تكون سيطرة التقاليد والظروف الخارجية قاهرة بحيث يضطر الفرد للرضوخ لها ، كما فعل « ابراهيم الكاتب » ، او يهرب من وجهها الى جهة غير معلومة ، كما فعل « حامد » بطل « زينب » . ومع ان « التقاليد والظروف الخارجية » تتركز فى معظم الاحيان ، كما فى هاتين الروايتين بالذات ، حول مشكلة الحب والزواج ، فان هذه المشكلة لا تعدو ان تكون التجسيم الفردي للجمود الاجتماعي الذي يرتطم به البطل فى مناسبات اخرى كثيرة ، ولكنه لا يشعر بثقله قدر ما يشعر حتى يقع فى ازمة قلبية .

وثالثا — ان بعض هذه الاعمال تبلور فكرة « التقاء الحضارتين » بوضوح تام ، وبذلك تستمر فى نفس الخط الذي تتبعناه فى المرحلتين السابقتين . لقد انتهى الادب التعليمي الى التحذير من قشور الحضارة الغربية مع تأكيده بضرورة التغير ، وفى هذا الادب الفني نرى اعزازا للحضارة القومية يجعلها اثمن من التغير نفسه . فامامنا ابطال مثل « محسن » فى « عصفور من الشرق » لتوفيق الحكيم ، و « الدكتور اسماعيل » فى « قنديل أم هاشم » ليحيي حقي ، خاضوا التجربة الى نهايتها ، فذهبوا الى الغرب ونهلوا من ثقافته ما شاءوا ، وكادت نفوسهم تتزلزل ، ولكن قلوبهم عادت شرقية صميمة ، وان كانوا قد افادوا من الغرب علما وثقافة وخبرة . ويعالج هذه الفكرة ايضا باسلوب رمزي ، الكاتب التونسي محمود المسعدي في حواريته « السد » وقصته « المسافر » .

مشكلات الحاضر والمستقبل

فى السنوات العشر الاخيرة ظهر فى البلاد العربية اتجاه الى معالجة القضايا الاجتماعية بطريقة مباشرة فى الادب . اي ان الادب عاد مرة اخرى الى الاسلوب التعليمي . ولكنه فى هذه المرة كان متاثرا بمذاهب سياسية معينة ، كما كان يحاول ان يتخذ شكل الادب الخالص كما يجاري نتاج المرحلة الفنية التي سبقته . ولهذين السببين لم يصب نجاحا كبيرا . فان تمذهب الاديب يجعله محصورا فى انصار مذهبه ، كما ان محاولة المزج بين التعليم والفن ، او بعبارة اخرى اخضاع احساسه المباشر بالحياة لافكاره الجدلية ، يسم كتاباته بالنفاق . وقد أصبحنا فى هذه الايام لا نكاد نشعر بوجود ذلك الادب . بل أصبحنا ننتظر ، فى كثير من الامل ، نهضة جديدة للادب الفني ، يتابع بها خط تطوره فى خدمة الحياة على طريقته الخاصة . لقد اصبح «التغير» حقيقة قائمة فى مجتمعنا ، واصبحت مجاراة هذا التغير ، بل وقيادته ، هي المشكلة التي تواجه الافراد . ولهذا فنحن نتوقع ان يتجه الادب الى خلق ابطال يتفاعلون تفاعلا قويا مع بيئتهم ، وبذلك يعبرون عن الدفع المتبادل بين « الوعي والتغير » الذي يكون نبض الحياة العربية المعاصرة . لقد شعر افراد ، فى مطلع النهضة العربية الحديثة ، بضرورة التغير . ثم لم يلبث التغير ان بدا يفرض نفسه بمعزل عن ارادة هؤلاء الافراد ، ولكنه لم يكن التغير الذي تخيلوه . واستمر « التغير الواقع » و « التغير المرغوب » يسيران فى اتجاهين متنافرين مما اوقع فى كثير من النفوس اليأس والتشاؤم ، واحال معظم ابطال الروايات والتمثيليات العربية الجادة اما الى متفرجين متأملين لا يخلون من مرارة ، واما الى « اخيار مظلومين » يستثيرون العطف ويستدرون الدموع ، وبذلك يعكسون ظاهرة مرضية عند مؤلفيهم وقرائهم على السواء ، وهي ظاهرة «ظاهرة الاشفاق على الذات » التي هي تعبير عن ضعف التفاعل مع الواقع .

ولكن المجتمع العربي يسير الان ، بشحنة ضخمة من قوة الارادة نحو جعل « التغير » مطابقا « للوعي » . وتحرر البلاد العربية من الاستعمار يجعل التغير الحادث فعلا نابعا من رغبة وطنية لا مفروضا من الخارج . والشعور بالعزة القومية ينفي مظاهر التقليد السطحي للحضارة الغربية ، الناشيء عن شعور بالنقص امام الاجانب ، ويدفع الى احياء القيم الاصيلة للحضارة العربية وتدعيمها . وكل جديد فى ذلك التغير يزيد تنبه « الوعي » ويوسع قاعدته فيدفعه الى تحقيق تغير اكبر . وهذا هو « الدفع المتبادل » الذي اشرت اليه ، وهو دليل يقظة شاملة وبناء مادي وروحي متكامل .

على ان التغير لا يمكن ان يتم بسهولة . وحركة الدفع المتبادل بين التغير والوعي لا بد وان تخفي فى داخلها صراعات متنوعة بين الفكرة والواقع من ناحية ، وبين الفكرة والفكرة من ناحية اخرى . فالواقع المادي لا يخضع بسهولة لرغباتنا ، والتغير الحادث فعلا لا يمكن ان يكون مطابقا لكل امالنا . وهذا هو الصراع بين الواقع والفكرة او المثال . كما ان التغير الذي نحققه او نهم بتحقيقه ينعكس على نفوسنا فيثير كل نزعاتنا المحافظة التي كانت نائمة بينما كنا نشتغل رغبة فى التغيير . وهذا هو الصراع بين الفكرة والفكرة . اضف الى ذلك ان « التغير » و « الوعي » لا يتساويان فى جميع الافراد ولا فى جميع قطاعات المجتمع ، ومن هنا تحدث انواع اخرى من الصراع لاقناع افراد او فئات من المجتمع بضرورة التغير .

ولان التغير لا يتم بسهولة ، فهناك قدر من البطولة يلزم لاتمامه . وهذه البطولة تتفاوت مستوياتها كما تتفاوت مجالاتها ، الا انها تظل دائما بطولة كلما اثبتت قدرة الانسان على تغيير مجتمعه وتغيير نفسه ايضا ، سواء أكان الانسان محاربا فى معركة او عاملا فى حقل . وامام الادب العربي اليوم فرصة تصوير هذه البطولة فى كفاحها المستمر نحو تقدم المجتمع ونضج الشخصية . الا انه ، ليؤدي دوره حقا فى خدمة الحياة ، يجب ان يلتزم الصدق الفني فى تصوير الابطال انفسهم ، فلا يكتفي ، كما حدث فى بعض الاداب الاجنبية الحديثة ، بتصوير افعالهم الخارجية التي تدل على ايمان ثابت وعزيمة لا تتزعزع ، بل يصورهم من الباطن ايضا ، حيث تبذل الروح جهدا جبارا للتغلب على الضعف والخوف والشك ، حتى تبرز اخيرا ارادة حرة بناءة . فتصوير الانسان كاملا هو مهمة الادب الحق ، الادب الخالص الذي يعبر عن نبض الحياة فى خيال الاديب ، وهذا الادب وحده هو الذي يؤثر فى القراء تأثيرا عميقا فيجعلهم يشعرون بنبض الحياة من حولهم كما شعر الاديب بهذا النبض ، ومن ثم يصبحون اقدر على ان يعيشوها ويتعاملوا معها . اما ادب الدعاية الذي يصور سطح الحياة فقط ، ليقول درسه وينتهي ، فانه لا يمس من نفس قارئه الا السطح ايضا .

الادب ومفاهيم التطور الاجتماعي

من هذه النظرة المجملة الى علاقة الادب العربي الحديث فى ماضيه وحاضره بمفاهيم التطور الاجتماعي ، يمكننا ان نخلص بان الادب قد قام بدور مزدوج فى تطورنا الاجتماعي: دور الشعور بالتغير والاعداد له من ناحية ، ودور المحافظة على القيم الاصيلة للحضارة العربية من ناحية اخرى .

والمزج بين هذين الدورين هو ما يشغل بال المصلح الاجتماعي دائما . فهو يريد ان يحدث تغيرات فى مجتمعه ، ولكنه يحاول الا تصطدم هذه التغيرات بالقواعد الاساسية للمجتمع او تؤدي الى تفكك روابطه فيكون ضررها اكثر من نفعها . واذا كان المصلح الاجتماعي يمزج بين هذين الدورين مزجا عمليا ، فان الادب يمزج بينهما مزجا شعوريا وبذلك يخدم التطور الاجتماعي بطريقة غير واعية . وكلما تأملنا هذه النقطة بدا لنا بجلاء لماذا نرى الادب الصادق يرتبط دائما بنظرة سليمة الى الحياة ، والادباء او قراء الادب الجيد الذين يحسنون فهمه وتذوقه اشخاصا يقبلون التطور الصحيح ويسعون فى ركابه او يرتادون الطريق اليه . اننا حين نقول ان الادب يمس أعمق الوشائج الممتدة فى ماضي الامة ومستقبلها لا نقول انشاء ولا كلاما منمقا ، بل نصف حقيقة الادب ببساطة تامة . فالادب يقوم على دقة الاحساس باللغة ، واللغة تتوارث من جيل الى جيل ، وتعبر عن الحياة النفسية للشعب فى كل عصر ، فدقة الاحساس بها معناها دقة الاحساس بتراث الامة الحضاري على مدى الاجيال . الا ان اللغة حين يستعملها قائلها تعبر ايضا عن مشاعره الحاضرة وآماله المستقبلة أكمل تعبير ، ومن هنا فهي مرتبطة بحاضر الامة ومستقبلها مثل ارتباطها بماضيها . ولهذا يحتاج الادباء فى كل عصر الى ان يحدثوا شيئا عجيبا فى اللغة . يحتاجون الى ان يجددوها ويجعلوها بنت اليوم ، دون ان يحطموا علاقاتها الاصيلة التي ترجع الى مئات السنين . وهذا بالضبط هو ما يحاول المصلح الاجتماعي ان يجربه فى مجتمعه . فهو يحاول ان يحدث فى هذا المجتمع من التغييرات ما يجعله مجتمعا متقدما يلائم انسان العصر الحاضر ، ولكنه يحرص فى الوقت نفسه على الا يمزق نشيج الحياة الاجتماعية ولا يحطم العلاقات الانسانية ولا يحول الناس الى الات بغير ميراث من المعتقدات والمثل .

وهناك شيئان اساسيان فى الادب مهما تعددت مدارسه واتجاهاته ، وهما الحلم والحب . فالاديب يحلم دائما بحياة انسانية افضل ، ولهذا فان الاشياء عنده تختلف دائما عنها فى الواقع . فهي اما اجمل من الواقع واما اقبح منه . اما اجمل من الواقع لان الاديب يرى فيها ، بعينه الحالمة ، اكثر مما هناك فى الظاهر . واما اقبح من الواقع لانه يقيسها بعالم حلمه الجميل . والاديب الواقعي يتأثر به ابدا فى كيفية رؤيته لهذه الاشياء ، فهو لا يزال يراها بتلك العين الحالمة ، التي تقرن الواقع بالمثال . ولان الاديب

حالم ، والادب حلم ، فهو يشعرنا دائما بالقلق ، فلا نطمئن الى واقعنا ، بل نطمح الى تغييره ، بل قد نرفضه في بعض الاحيان .

ولكن الادب ايضا حب . ولهذا فان الاديب الذي يثور على عالم الناس باغراء الحلم ، يعود اليهم برباط الحب . والاديب الذي يصور تمرد الفرد وانفلاته من مواضعات الناس ، يصوره ايضا في حبه وتضحيته من اجل الناس .

« الدكتور اسماعيل » ، بطل « قنديل ام هاشم » يعود الى مصر بعد سبع سنوات قضاها في اوروبا . لقد كان ، قبل سفره « لا يشعر بمصر الا شعورا مبهما ، هو كذرة الرمل اندمجت في الرمال واندست بينها ، فلا تميز فيها ، ولو انها مع ذلك منفصلة عن كل ذرة اخرى . اما الان فقد بدا يشعر بنفسه كحلقة في سلسلة طويلة تشده وتربطه ربطا الى وطنه . في ذهنه مصر عروس الغابة التي لمستها ساحرة خبيثة بعصاها فنامت عليها الحلى و (زواق) ليلة الدخلة . لا رعى الله عينا لم تر جمالها ، ولا انفا لا يشم عطرها ! متى تستيقظ ؟ متى ؟ وكلما قوي حبه لمصر ، زاد ضجره من المصريين ... »

هنا الحب والحلم متحدين . ولكن الحلم لا يلبث ان يدفع الى السخط ، فاذا الحب يبدو حنقا وثورة على المحبوب: «هؤلاء المصريون: جنس سمج ثرثار، اقرع امرد، عار حاف ، بوله دم ، وبرازه ديدان . يتلقى الصفعة على قفاه الطويل بابتسامة ذليلة تطفح على وجهه . ومصر ، قطعة مبرطشة من الطين اسنت في الصحراء ، تطن عليها اسراب من الذباب والبعوض ، ويغوص فيها الى قوائمه قطيع من الجاموس نحيل ... »

ولكن ماذا يستطيع « فرد » ان يفعل ، فرد قد يملك العلم والارادة والحلم المستبد المغرور ، ولكنه منقطع الصلة بالناس ، ان اسماعيل يهجر اهله وحيه ، ولكنه يظل حائرا، يقف كل يوم في ميدان السيدة زينب ، وفي نفسه صراع لا ينتهي ، بين علمه المستحدث وايمانه الموروث، بعين سخطه على ضعف قومه وتأخرهم ، وحبه لهم بالرغم من عيوبهم . واخيرا تأتي اللحظة الحاسمة . ففي ليلة القدر يدخل الى مقام السيدة زينب ، ويأخذ من خادم الضريح شيئا من زيت القنديل الذي يؤمن ابوه وامه وخطيبته المريضة ان فيه الشفاء لعينها الرمداء ...

« وخرج اسماعيل من الجامع وبيده الزجاجة وهو يقول في نفسه للميدان واهله : تعالوا جميعا الي ! فيكم من آذاني ، ومن كذب علي ، ومن غشني ، ولكني رغم هذا لا يزال في قلبي مكان لقذارتكم وجهلكم وانحطاطكم ، فانتم مني وانا منكم . انا ابن هذا الحي انا ابن هذا الميدان . لقد جار عليكم الزمان ، وكلما جار واستبد ، كان اعزازي لكم اقوى واشد ... »

« ... وعاد من جديد الى عمله وطبه يسنده الايمان » .

هكذا يرتبط الحلم والحب في عمل الاديب الفنان ،

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان والاقليم السوري : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان والاقليم السوري ٢٥ ل.ل.
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩ — Tél. Direc. :223819 Dle. : 225139

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ونترجم ذلك في يسر الى لغة المصلح الاجتماعي فنقول ان الادب يشير الى حياة افضل ، ولكنه يشير ايضا الى انهذه الحياة لا يمكن ان تتحقق الا اذا ارتبطت بالماضي والحاضر. وقد يود المصلح الاجتماعي ان يحاسب الكاتب على الرمز الذي اختاره (زيت القنديل لشفاء العيون) ، ولكن المعنى الذي يدل عليه هذا الرمز يظل حقيقة عند المصلح الاجتماعي، كما هو حقيقة عند الاديب .

الادب ومفاهيم التنمية الاجتماعية

ظل الريف بمعزل عن التطور الاجتماعي في عهـود الاستعمار . فقد انشأ الاستعمار في الشرق مدنا واحياء غربية الطراز ، ليقيم فيها الحكام والمستثمرون الاوروبيون وبقي الريف كما هو ، لا يشعر بشيء من التغيير فيما عدا وسائل المواصلات الحديثة التي راحت تشـق احشاءه لتحمل خيراته الى مراكز التجارة في المدن . وظل الريف محروما من التعليم ، والجماهير الضخمة التي تسكنـه بعيدة عن الاحساس بالتغير فضلا عن المشاركة فيه . كان الريف يصب ثرواته وزهرة ابنائه الى المدينة ، فتتضخم المدن حول السادة الاوروبيين وهو باق في ظلامه . وظـل ادبه الخاص ، ادب المواويل والحواديث والسير الشعبية ، وهو في الغالب ادب غير مكتوب ، يعبر عن تجارب الشعب على مدى القرون ولا يعكس التطورات المعاصرة فيما عـدا موجات الثورة الوطنية العارمة التي كانت تشمل الوطن كله ، ريفه ومدنه ، فتبتعث من اعماق الريف والبادية شعرا واغاني حماسية تتوهج بوقدة الاحساس .

ولكن الادب المعاصر في مجموعه ادب مدني . وهذه حقيقة غير مستغربة نظرا لما اشرنا اليه من انتشار الامية في الريف حتى عهد قريب ، والانفصال الذي ظل يزداد عمقا بين حياة المدينة وحياة الريف . وصورة الريف في ادب المدينة، حتى عهد قريب ايضا هي مزيج من فردوس مفقود — عالم يعيش اهله في كد وشقاء ، ولكن قلوبهم يعمرها الحب وحياتهم ترفرف عليها السعادة لانهم قريبون مـن امنا الطبيعة — وكتلة جامدة لا تكاد تشعر بالحياة ولا بمرور الزمن ، وبقية حية من الحضارة القديمة التي لم تتأثر بتيارات المدينة السطحية او العميقة . ترى عناصر هذه الصورة متفرقة او ممتزجة بنسب متفاوتة في جميع الاعمال الادبية التي كتبها كتاب تربوا في المدن او وفدوا عليها من الريف . تراها في « زينب » و « الايام » و « عودة الروح » و « ابراهيم الكاتب » كما تراها في عشرات القطع الهزلية التي تصـور الريفي الجاهل في المدينـة .

ولكن التخلص من الاستعمار يستتبع تغيرات اجتماعية ضخمة تمس اهل الريف . فينتشر التعليم فيه ، ويتزايد الاهتمام بتحسين ظروف الحياة المادية لسكانه ، ويوجـد عدد غير قليل من الكتاب الذين يعتبرون انفسهم كتابـا ريفيين ويظلون مرتبطين بالحياة في الريف . ومن هـذه العوامل كلها تتضح ، شيئا فشيئا ، صورة جديدة للريف في ادبنـا المعاصر .

صورة الريف المتغير ، ومشكلات التغير كما يشعر بها انسان ريفي ، يكتب لقراء ريفيين ، او لقراء يشعرون بقيمة الريف شعورا واقعيا ، ويريدون ان يحسوا بمشكلاتـه مـن قريب .

والامثلة على هذا لم تعد قليلة . ولكنني استشهد بمثلين من انتاج اثنين من الكتاب الشبان في الاقليم الجنوبي مـن الجمهورية العربية المتحدة .

في قصة « الفانوس » لعبد الله الطوخي يصور الكـاتب الفرح الذي شمل اطفال القرية وكبارها حين نظروا ذات يوم فرأوا الفوانيس تنير طرقاتها وساحاتها ، لان «جمعية الاصلاح الريفي » التي تكونت منذ شهرين قد اخـذت اعانة من الحكومة واشترت هذه الفوانيس . لعب الصغار في نور الساحات وسهر الرجال على المصاطب والنساء على سطوح المنازل ، وعرفت القرية ليالي بهيجة،ولكن الفوانيس بدات تنطفيء واحدا واحدا لان النفط نفـد مـن مخازن الجمعية . وينتقل الاطفال من فانوس الى فانوس، واخيرا ينطفيء الفانوس الاخير ، وترجع القرية الى الظلام .

هذه القصة تصور مشكلة هامة من مشكلات « التغيير » في القرية ، تواجه المشتغلين بالتنمية الاجتماعية دائما . وهي مشكلة شعور اهل القرية بمسئولية الاصلاح واشتراكهم الايجابي فيه . فاهل القرية جميعا قد انتفعوا بانـارة الفوانيس ، ولكن احدا منهم لم يفكر فيما يتطلبه هـذا الاصلاح الصغير من جهد لاستمراره ، او لم يشعر بحافز يدفعه الى بذل الجهد ، ولهذا مات المشروع . ومع ان القصة بعيدة كل البعد عن الاسلوب التعليمي ، كان فيها احساسا واضحا بالمشكلة ، وهذا كاف في العمل الادبي .

وقصة « تعليم » لفاروق منيب تصور محاولة فـلاح ناضج السن ، اب لخمسة اولاد ، ان يتعلم ركوب الخيل في يوم العيد . لقد طالما حدثته نفسه بهذه الفكرة الغريبة ، وها قد واتته الفرصة فهو يتغلب على خجله ويستأجـر عجلة ويذهب بها الى السوق الخالي وهناك يمارس تجاربه في اصرار حتى تحمله العجلة مسافة غير قصيرة . واخيرا ينفجر احد اطاريها فيفكر « بسيوني » ان يركبها « عـلى الحديدة » ، ولكنه يطرد الشيطان ويسحبها راجعا الى دكان العجلاتي « يغمره احساس بفرحة عظيمة لم تتم » .

هذه القصة بعيدة عن الاسلوب التعليمي كسابقتها ، بل انها تبدو بريئة كل البراءة من وجود فكرة اجتماعية فـي ثناياها . فهي لا تعدو ان تكون صورة مرحة لفلاح يطـاوع نزعة غريبة في راسه . ولكن هذه الصورة المرحة تتضمن شعورا بالجراة والاقتحام واحساسا بقيمة الالة ، ورغبة في السيطرة عليها . وهي مشاعر تلعب دورا هاما في نهضة الريف.

شكري عيـاد

جامعة القاهرة

ابو عبادة البحتري

•

عدنان مردم بك



شعره السحر معجز اغرابه ... وجديد على الزمان شبابه
تتجلى فى لفظه متع الفجر ... فيجلى من كل لفظ شهابه
ويطل الربيع ينفح بالطيب ... فتندى ميامسة اعشابه
مثل الكون نغمة حين جاشت ... بشجي من اللحون ربابه
والشباب الفينان دفقة عطر ... من امان يمور فيها عبابه
عالم الناس بالاذى حف غابه ... وبقوت المحروم طال جنابه
كدرت ارضه بكل خبيث ... واستفاضت بالاثم تجري شعابه
يتساوى الضدان ماء فرات ... واجاج لا يستساغ شرابه
وسواء وحش يعيث بناب ... ام كمي للطعن سنت حرابه

هون الداء فى الحياة امان ... عذب الداء عندها وعذابه
ليس كالشعر متعة وعزاء ... فى مصاب ان شف يوما مصابه
غني العمر بالشعور وشعت ... بالسنا شمسه وجاد سحابه
وارتدى الافق معطفا من نجوم ... زاهرات وافتر للسحب نابه
فاذا الكون دفقة من حنان ... يترامى من الحنان حبابه
والفضاء البعيد منهل نور ... عذبت كأسه وطاب وطابه
كذب العقل رائدا ودليلا ... فى طريق للشك ماجت قبابه
منطق العقل مجدب وشحيح ... ليس يروي الظماء يوما شرابه
ظلمات كتابه وشكوك ... اين للشك ان يبين كتابه

شاعر شفه الحنين فسالت ... عبرات قيثاره وربابه
كلما طال بعده واغترابه ... قدح النار بعده واغترابه
صقلته الخطوب رأيا وقلبا ... كحسام بالصقل رق ذبابه
هزه الشوق للشآم فجاشت ... عبرات الاسى وطال عتابه

موطن بالفخار يعبق ناديه   وراحت بالمجد تسمو قبابه
ينبت العز مشرقا فى ثراه   كلما خالط النجيع ترابه
هذبت أهله الخطوب فكانوا   دونه الليث قد تأشب غابه
فيه للجار موطن كالثريا   بالمروءات شيدت اطنابه
اهله الصيد لا الغريب مضاع   حقه بينهم ولا اترابه

شاعر للجمال كل اغانيه   وللمجد سعيه وذهابه
فتن الحسن قلبه وتصباه   فطال الجوى وشف عذابه
قلبه نهب هنده وربابه   ما تجنت هند وصدت ربابه
شفه الحسن اينما برق الحسن   ولاحت للمدلجين ركابه
فى العيون الوسنى اذا سطع الفجر   بعين وضاء منها ثقابه
فى الشفاه الظمئى اذا عصف الوجد   بنار وماج فيها عبابه
فى حفيف الاشجار فى غلس الليل   تنادى سماره وصحابه
كل حسن مآله لزوال   ما استطالت على الثرى اسبابه
وشباب الفنون ما قدم الدهر   جديد على الزمان شبابه

باعث الروح فى الاصم من الصخر   بعثت الجماد غضا اهابه
تنفخ الروح فى التراب فيخضل   تراب وتستجد ثيابه
اي سحر نفثت حين تغنيت   فجاش الوادي وسالت شعابه
اجد الصخر فى بيانك حيا   غير خاف على العقول خطابه
واخال الايوان عادله الانس   وراحت تفتر بشرا كعابه
وتراءت للعين منه مغان   مشرقات وغص بالناس بابه
واذا القصر مثل امس على الدهر   جديد شبابه وملابه
هب من دونه الرجال وهبت   خدرا دون بابه حجابه
واذا بالخيال يمثل للعين   جليبا ويستجد خضابه

وتغنيت بالربيع فغنت   فى الفيافي معقودة اطنابه
واندهى القفر بالقشيب من الوشي   وسالت بالطيب تجري شعابه
وتبدت اعلامه خافقات   فى خضم يطوي الخضم عبابه
صور سمحة الخيال تعرت   دون افق بالنور ماج سحابه
وتغنت سواجع بهزيج   طاب معنى شجيه وعتابه
ولمسنا الربيع ينفح بالطيب   وتندى مخضلة اعشابه
ما ربيع الزمان غير شعاع   من شهاب يطوى ويخبو ثقابه
وربيع البيان ما بقي الدهر   جديد على الزمان شبابه

تتوارى الآثار خلف ضباب   للمنايا كالليل غام ضبابه
ويعيث البلى بكل مشيد   بلغ النجم رفعة محرابه
بدل الدهر دون ما يترك الناس   حجابا لا يستشف حجابه
ما تراث الانام غير هباب.   فى فضاء يطيش فيها هبابه
وتراث البيان اروع ذخر   عبقري شاق الانام كتابه

دمشق   عدنان مردم بك

الخبز المر

بقلم ماجد محمد ابو شرار

في البلدة الصغيرة الوادعة التي تقع على اقدام جبال متعانقة كلهـا جرداء قاحلة في اكثر ايام السنة ، والتي يمر من وسطها الجدول الصغير الهادىء ليذبح في جريانه المستمر جدب الارض وليخلق فيها نيسانا دائما يزخر بالخضرة والحياة والجمال .. هذا الجمال الذي يظلل هذه البلدة فتصبح وتمسي في بحر اخضر طوال ايام العمر .. ينتهي بحر الخضرة والجمال هذا من الناحية الغربية بسفوح مغبرة هي مناجم الفوسفات حيث اعمل ومئات من العمال .

ففي الصباح .. كل صباح نمخر عباب الظلال الخضراء متجهين الى المناجم فاذهب اول ما اذهب الى مخزن العهدة ثم اتجه الى اول الخط الحديدي الضيق الذي يمتد مع صدر الجبل لينفذ الى داخله عبر نفق طويل فادفع اول عربة مع الخط مثبتا خوذة العمل على راسي .. لا يلبث هذا الجبل الا ويبتلعني كما ابتلع غيري لنغيب فيه ساعات تطول مرة وتقصر اخرى .. ننهش خلال هذه الساعات من احشاء الجبل ترابا ابيض رطبا .. نضعه في العربة ونعود بها عبر النفق الى النور حيث نفرغها وتسجل لنا في السجل عربة واحدة وفي خانة مقابلة من السجل خمسة وثلاثون قرشا .

كنت اعلم ان طبيعة عملنا هذا قاسية وجد قاسية وفوق ذاك فنحن في داخل النفق مهددين بالموت في كل لحظة .. فالانهيارات متوقعة في كل يوم .. والهواء رطب بارد .. والضوء قليل .. ولكن كل هذه المخاطر لم تكن لتشغل تفكيري الا في اللحظات القصيرة القليلة التي تواكب ذوبان النور كل صباح في ظلام النفق الاسود فيخفق قلبي ويعتريني شعور غامض لو كنت شجاعا لقلت انه شعور .. بخوف .. ، ثم لا يلبث كل ذلك الا ويمحى فينتظم دخول الهواء الرطب الى صدري وتألف عيناي الظلام وتتراخى قبضة يدي عن حافة العربة لاصحو بعد مسير دقائق على صوت « ابي خميس » يأتيني عبر نفق قصير جانبي ..

ــ هه .. هذا انت يا فائق .. لماذا تأخرت ..

واوقف العربة ثم اسحب من جوفها ادوات العمل .. معول .. طورية .. قفة .. وفانوس صغير احملها متجها الى ابي خميس .

ــ طاب صباحك ابا خميس .. عل التربة هنا لينة ..

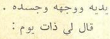
وبدون ان يرفع راسه عن ارض النفق يتمتم :

ــ انني اعمل على كل حال ! ..

ونغيب ـ ابو خميس وانا ـ في ضباب العمل الاصفر الثقيل .. والرطوبة القاسية تولد البرد الشديد .. والوحدة التي تغلفنا تزيد العمل ارهاقا وصعوبة ، وكلما رفعت رأسي عن قفة التراب ونظرت تجاه ابي خميس لاكلمه في محاولة لقتل الوحدة وجدته منصرفا انصرافا كليا الى عمله بجد ونشاط لا يتناسبان ابدا مع سن الخمسين وكلما نبهته الى خطورة اندفاعه الجنوني هذا في العمل تمتم :

ــ يا سلام .. ماذا يهمك .. لا زوجة مريضة تنتظر الطعام والعلاج .. لا اطفال يهددهم الجوع .. لا مدارس .. لا مصاريف ..

ويسكت فجأة ، وينظر الي نظرات كنت اعلم تماما ان فيها شيئا من حب يتوجه بسمة حانية عذبة ثم يعود الى عمله .



وفي فترات الراحة القليلة التي كنا نقتطعها من ساعات عملنا لنتبلغ لقيمات جافة .. جفاف ايامنا نرطبها بحبة بندورة مرة وبجرعات كثيرة من ماء في اكثر المرات .. في هذه الفترات كنت ببسمتي الدائمة وبحديثي الذي كنت احاول جاهدا ان اجعله يوحي بالثقة والاطمئنان .. كنت احاول ان انفذ الى سريرة ابي خميس فكنت الاحظ انه يتضايق من ذلك .. فهو يأبى على احد ان يحطم شرنقته تلك التي تلفه .. ولكن ومع مرور الايام استطعت ان احطم شرنقته وضعت خيوطها حبلا متينا قويا من الفة ومحبة وثقة اصبحت تربطني بابي خميس ، لقد حدثني عن كل دقائق حياته .. حدثني عن يافا .. عن بساتين البرتقال التي تشبه بمجموعها سماء خضراء رشقت فيها نجوم صفراء صغيرة حيث تنتهي هذه السماء بأفق رملي اشقر فاتن .. حدثني عن ربيع يافا اللازوردي المبهج .. عن شتائها الخير اللطيف الدافىء .. عن معمله الصغير الذي تركه هناك .. وترك معه شظايا قلبه الذي تفجر حزنا على ابنه البكر وهو يقضي في سبيل بلده .. حدثني عن شقاء ما بعده شقاء خاض غماره بعد ان ترك يافا .. لقد عرفت معنى الجوع المجرم .. وذقت طعم الذل المحرق وصارعت لسعات البرد القارص .. وشعرت بمرارة فقد الولد تلو الولد .. لمست حرارة التمني .. وبلوت مرارة اليأس ... عرفت كل هذا وشعرت به ولمسته يسيل كلمات من فم ابي خميس ويسقط حبات جمر من عينيه ويرتسم انتفاضات وخلجات وتشنجات على يديه ووجهه وجسده .

قال لي ذات يوم :

ــ انت شباب .. كلك شباب يا فائق .. اما انا .. فانني احس بأن كل شيء يهرب مني بعد ان هرب شبابي .. النور يذوي في عيني ..

والقوة تتسرب مع عرقي .. والدم يجف في عروقي .. والرطوبة تحطم اضلعي .. والعمر يهرب ويهرب ثم لا يلبث الا ويتعب من الهرب فيستريح ويزرع راحة لا تعب بعدها ..

وكنت اتصدى له قائلا بحماس وحب صادقين :

ــ لكنك ما زلت قويا نشيطا بل وانشط مني فانت في المعدل تنتج ملء عربتين كل يوم بينما لا انتج انا سوى ملء عربة واحدة .

فيعلق على ذلك ببحة ممزقة :

ــ انها ليست القوة التي اريد انها القطرات الاخيرة استقطرها بجشع وعجلة .. انها رعشة الشمعة التي تنطفىء .. هي صحوة انسان يموت

كان دائم التحسر على شباب هو لا بد ضائع ، لا يلبث في كل مناسبة الا ويذكرني بربيع شبابه المنصرم وبخريف حياته التي يحياها ، ورغم ذلك فقد كان انشط عمال المنجم على الاطلاق واكثرهم اقبالا على عمله ، كان كل همه ان يوفر اكبر قدر من السعادة لزوجه وبناته الخمس ، فزوجه مريضة دوما تحتاج الى طعام جيد وعلاج مستمر وبناته جميعا عدا الصغيرة منهن في المدرسة وهو حريص كل الحرص على اظهار بناته في مظهر لائق امام زميلاتهن، دوما يشركني في جميع اسرار بيته فوجهه النحيل المعروق شاشة استعرض عليها كل يوم حوادث امسه واماني غده يأتيني كل يوم بصورة جديدة من بيته فيقول والسعادة ترقص في عينيه :

ــ تصور ان (سهيلة) استطاعت ان تحصل على المرتبة الاولى لقد وعدت باهدائها ساعة حلوة سابدأ بتوفير ثمنها منذ الان .

وقال لي مرة وهو يضحك :

الملعونة (ليلى) هل تدري ماذا تريد ..؟؟ انها تريد سيارة حمراء ناعمة كالسيارة التي تحضر كل يوم الى المدرسة لنقل الطالبة (عفاف) الى بيتها ، لقد تركتني غاضبة لانني لم اعدها بهذه السيارة .

وفي يوم اخر قال والالم يقطر من كلماته :

ــ الطبيب يطلب ثلاثين دينارا اجرة العملية التي سيجريها لزوجتي .. لقد افهمته انني عامل ، مجرد عامل بسيط .. فمط شفتيه وقال ... ولو !!.

قلت له راجيا : معنى ذلك ان يقضي المرض على زوجتي وفي يديك انقاذها فقال غاضبا : لا عملية بدون نقود ..

كل يوم كان يحمل لي خبرا جديدا ، فاسعد لسعادته واتألم لالمه ، وكم كنت اكبر فيه حبه الشديد لبيته وعمله الدائم من اجل سعادته .

وكان يوم .. يوم كسائر ايام العمل المضني ، وكنت قد فرغت من ملء العربة بالتراب حين استوقفني قائلا :

ــ يا فائق .. قف اريد ان اسألك

فقلت مستطلعا : هات .

قال مترددا

ــ كم سنة يمكن ان يعيش المصدور؟!

قلت بدهشة :

ــ ما شأنك بالمصدور يا عم ..؟

وبصوت خافت متقطع حزين قال

ــ انني .. مصدور ..

فوجئت وغمرني شعور اسى ... ونقمة .. وشفقة ..

بعد ذلك بايام حاولت اقناع «ابي خميس» بالذهاب الى الطبيب فنظر الي بغضب ممزوج بضعف وحيرة .

ــ لا .. لن اذهب .. لن اذهب .

فاحاول اقناعه قائلا

ــ لكن معنى ذلك موت اكيد قريب وهذا ما لا ارجوه لك ..

ــ اعرف ذلك .. اعرفه تمام المعرفة .. ولكن ــ وهنا يشتد صوته وتعتريه رجفة قوية ــ الطبيب سيحولني الى مستشفى السل والمستشفى سيعالجني ويطعمني لكنه لن يطعم بحال من الاحوال زوجتي وبناتي .. ارجو ان تكون قد فهمت لماذا لا اريد الذهاب الى الطبيب .. فذهابي اليه انانية .. حياة لي وجوع وموت لعائلتي .

سارت بنا الايام وابو خميس دائب على نهش احشاء الجبل يستخرج منه التراب الابيض الرطب والسل الملعون المعشعش في صدره دائب على نهش صدر المسكين لينزف دما قاتما مع كل نوبة سعال حادة .

عشت فترة من العذاب قاسية .. عذاب الانسان (ابو خميس) ، كان سعاله يمزق صدري قبل ان يمزق صدره ، كان يرعبني منظره والدم يسيل مختلطا بلعابه مع جوانب فمه وعيناه جاحظتان مسمرتان في لاشيء .

وتنتهي نوبة السعال ليعود الى المعول والقفة من جديد فكنت اغافله لاضع نصف ما استخرجه من تراب في عربته ، هذا اقصى ما استطيع عمله للانسان المنتحر الانسان الذي طالما تمنيت لو ان الشباب شيء يعطى لاتخلى له عنه راضيا مختارا .. وبدأ المسكين يشعر بالنهاية فالجهد الذي يبذله في عمله الشاق يغذي العش الذي يسكن صدره فيمور بعنف

كان اكثر ما يخيفه هو ان يأتي يوم يعجز فيه عن العمل .. فيعجز من ثم عن توفير لقمة الخبز لبيته ، فهو يدعو دوما وبحرارة ان يؤجل في موته الى ان تكمل سهيلة دراستها وتصبح معلمة وبعد ذلك .. الى الجحيم

وفي صباح يوم لم يحضر ابو خميس الى المنجم .. فعلمت ان المرض قد بدأ ينتصر فذهبت الى بيته وكان كل شيء في النهاية .. نوبات السعال بدات تخمد وتهدأ .. وجذوة الحياة في عينيه لا زالت تخبو رويدا رويدا، ونظرة مسكينة فيها الف معنى ومعنى تواجهني كلما نظرت في عينيه ... وسهيلة وامها وبقية البنات ينتحبن بصوت خافت وكأنهن لا يردن ان يزعجن الموت الذي لا يلبث الا ويخطف الوالد وكذلك ... فعل !!

والان وبعد سنوات من موت ابي خميس لا زلت اذكر وبجلاء ابا خميس الانسان ذا القلب الكبير .. يمسك بالمعول لينهش احشاء الجبل مستخرجا منه التراب الرطب المزوج بعرقه ودمه ليحوله .. الى خبز .. مر !

الخليل **ماجد محمد ابوشرار**



الدكتور زكي المحاسني

قواعد للشعر الحديث

بقلم الدكتور زكي المحاسني

مثلما يولد الولد فى حجر ابويه ، فينبغي لهما العناية به والحضانة له ، كذلك يجب على تاريخ الادب المعاصر ان يحتضن الشعر الحديث وان لا يتنكر له هذا التنكر فلعله يعيش ويمنح عمرا ويكون فيه خير ويحسن فنه .

لقد احتوى عنترة اهلوه فى الجاهلية من اجل لونه، لكنه حين ابلى البلاء العظيم فى حروب بني عبس ورفع ذكرهم وشد ازرهم لاذوا به معترفين وغالوا مكاثرين ومفاخرين .

وحين راى معاوية ابن ابي سفيان ما صنع له زياد ابن ابيه فمكن له فى الدولة وبسط له فى السلطان ونافح عنه تلقاء اعدائه حتى اسكت الفتن وهو عامله فى العراق الشام . جمع العدول من القضاة وقال لهم :

ــ لقد آن الاوان لأستلحق بنسب ابي سفيان ابنه من امة من امائه .

وقد انجز معاوية عزمه فاعطى نسب ابيه لزياد فصار يدعى (زياد بن ابي سفيان) .

على اني لست اجور وانا اذكر هذه النظائر ــ ان الشعر الجديد هجين او مولود وحيد وان يكن من آياته مدخول النسب وغير الصريح ، فان شعراء افذاذا عرفوا بالموهبة الصحيحة والالهام ونالوا ثقافة جامعية وعرفوا صناعة الشعر قديمه ومعاصره فاحبوا ان يحدثوا حدثا فى الادب المعاصر فطلعوا بهذا الضرب من الشعر الجديد الذي يصنعونه كل يوم ويشيع فى الصحافة العربية ، يثور عليه جماعة من المجمعيين فينكرونه ، ويلمزه حفظة لعهد العربية واساليبها فى الشعر القديم ويتندر به آخرون فى المجالس . لكن فريقا من الراضين عنه يقبلون على قراءته وسماعه وقد شاع لدى الشبان والفتيات فشهدت منهم من يتواقع على شراء دواوينه لشعرائه المعروفين . ولقيت فتاتين عند بائع للكتب تقلبان الايدي فى دواوين حديثة الشعر لم يعجبهما سوى ديوانين من هذا الشعر الذي اسميه (القول الشاعر الجديد) .

لقد برز الى الوجود هذا الضرب من الكلام ولاح صوغه سهلا فكثر قائلوه حتى وجدنا بينهم من ليس يعرف من كلام العرب قليلا ولا كثيرا او ربما كان غير مبين فى الفكر والقول او لا يتقن سلامة الكتابة القلمية فيغوص فى خطأ الاملاء واذا قرأ لم يستطع ان يقيم العبارة ثم هو يمزج بين الفصيح والعامي دون ان يعرف ايهما كلام العرب .

ونما هذا الخطل كما ينمو الجرثوم فى الجسم السليم حتى يخاف عليه العطب، او كما يدب العفن فى الفاكهة الشهية . كل هذا تعانيه هذه الفترة من عصرنا ، فيما يستفحل من دائه بغير ان يفكر مفكر فى دوائه .

كنت اتجهم له واجثو به وقد ساءت علاقتي الادبية مع بعض اهليه من المدخلين للضيم به على لغتنا وان تكون لي صلة فكرية ووشائج ادبية مع المبدعين فيه والمريدين للشعر الحديث محاولات التطور شأن ما يعتري كل ادب فى كل زمن .

نظرت فى هذا الضرب من القول الشاعر فوجدت كثيره لا يستقيم له وزن ، فليس يجري وحدة وزنية من تفاعيل الخليل بن احمد الفراهيدي فى ابحر الشعر الست عشرة التي وضع موازينها واقيستها . ولا يمضي مع المجزوءات منها ولا مع المنهكات ، فحرت بامره ، انه كلام وكفى . بعضه عري من النغم الموسيقي الذي يلازم اللفظ العربي المتسق اذا ضم الى غيره فى جملة واحدة تنشأ من كلمتين او اكثر . وبعض يجري على تفعيلة واحدة ثم ينحرف عنها بين سطر وآخر الى تفعيلة تخالفها ثم يعود الى الاولى او يشرد فيتناول تفعيلة ثالثة ، وقد يلتزم قافية متواترة او يهمل التقفية والروي جميعا .

وسمعت منه الوانا من شعراء وشاعرات سماعا مع الجمهور او وحدي ، لا انكر انه دخل الى نفسي وهزني ، ومنه ما ملك علي اعجابي لا بنظمه فان نظمه ما زال جافيا عندي وانما اثر في بمعانيه العميقة واغواره الشاعرة حتى ظننتني اسمع شعرا فى الفرنسية مما اجده فى هذه الاغوار والمعاني .

كان اقدم من اجاد فى هذا الفن صديقي الاستاذ « البير اديب » محرر مجلة «الاديب» البيروتية حين اصدر ديوانه « لمن ؟ » واثار ديوانه هذا يومئذ مقولات فى النقد والاعجاب وكنت احد دارسيه والقائلين كلمة فيه . ان كلمة واحدة من ديوان « لمن ؟ » كانت مشحونة بشعور ومثيرة لفكر

● اذيع فى البرنامج الثاني من اذاعة القاهرة

لا تنتهي ، وسر الكلمة الواحدة يحتوي ما لا حد له من الحوادث والمشاهد والتاريخ . فكلام العرب فى معاجمهم يرقد متراصا بعضه فى أثر بعض فى اسر كلامية عاكف بعضها على بعض كالاسرة فى البيت وفى الغرفة الواحدة الاب يتحلق حوله الزوجة والاولاد . ان كل كلمة من كلامنا ومن كلام معاجم الامم مشحونة بعديد من الصور لا ينتهي توالدها كانت تعبيرا للانسان منذ كان وستبقى حتى الابد ما دامت حضارة الانسان فى الفكر واللسان على الارض .

ان كلمة « سهدت » تثير فى خاطري نبعا من الاخيلة والتصورات والمفاتن والاحزان كل صورة تنفذ الى اختها وتحركها وتشدها معها او تسير بها او تقتلها . وعالم الكلام كعالم الاحياء فيه كل شيء من حياة الانسان والحيوان ، ومن مطالع النبات وآفاق الطبيعة . لقد استحال الكون برمته بسحر البيان الى كلام وتجمع جميعه فى كلمة . فليست الكلمة خرساء وانما هي ناطقة على ما فيها من الصمت المرسوم ، انها مثل الجني الموصود ــ كما تصوره الاسطورة ــ اذا خرج من القمقم علا فى الجو وتضخم وانطلق يوزع الرعود فى الفضاء .

كذلك كنت اشعر وانا اقرأ فى تعمق وانسياب ديوان البير اديب الذي سماه «لمن ؟ »

ومن قبل صدور هذا الديوان بل فى زمن ابعد فى رجعته قرات مقالا لاديب فرنسي معاصر نشره فى جريدة كرنفوار التي احتجبت منذ الحرب العالمية الثانية اسماه بالفرنسية séparatisme poétique تريد ان يقول مفارقات شعرية وكان فى ذلك الوقت قد شاع شعر النابغة العظيم بول فاليري وخفقت الصحف وحشدت الكتب من اجل شرح رائعته النادرة فى قصيدته التي سماها « المقبرة البحرية » . فكان ذلك المقال العنيف نقدا جارحا لشعراء محدثين من الكهول والشبان اخذوا يقلدون بول فاليري فى تعمية الشعر وسد ابواب المعاني على نفسها فتقرأ لهم كلاما لا تفهم فيه معنى لانه لا يقوم على معنى اما معاني بول فاليري فكانت منفوحة من صميم الذهن والانسان المدرك والمصور وفياضة بالفلسفة ووراء كل كلمة معنى خاص لا يدلك عليه المعجم لانه فوق المعجم بل اقول ان بول فاليري كان عليه قبل موته ان يؤلف معجما فى لغته خاصا بمفردات شعره .

ولست استطرد حين اقول انني سلخت اياما منذ سنوات مع صديقي الدكتور بدر الدين القاسم نشرح قصيدة المقبرة البحرية ونضيع فى تيه معانيها الساحرة . وكنت اذكر كيف هاجت تلك القصيدة شراحها حتى دعا استاذ فى جامعة السوربون الى سماع محاضرته فى شرحها فازدحم السامعون من كل صوب وحدب وفى نهاية المحاضرة حدثت جلبة فى مكان المستمعين فاذا بول فاليري نفسه بينهم وقد اراد ان يتخفى فوضع على عينيه نظارة سوداء ولف حول عنقه عصابة لكي لا يعرفه الناس وما راعه الا ان اكتشفه مجاوروه فثاروا به فرحين وقد وقف المحاضر قبيل ان ينفض القوم لينظر ما الخبر واذا بول فاليري نفسه يعلن عن وجوده وتضج القاعة بالتصفيق ويلح عليه الجماعة بان يقول كلمة فيقول هذه الكلمة التاريخية التي تشرح شعر فاليري حتى الابد :

ــ ايها الاستاذ الكبير اني لاسدي اليك اعمق الشكر . لانك افهمتني شعري . تلقاء كل ذلك ادعو علماء الادب العربي المعاصرين ان يأبهوا لهذا الشعر الذي يسمى جديدا وينظروا فى تحاسين اقواله عند شعرائه النابغين وقائليه المثقفين عليهم يضعون له قواعد خاصة يجري عليها في الوزن والروي والموسيقى فينضم بآثاره الجيدة المروقة الى تراث ادبنا العربي ويكون شيئا جديدا معاصرا نسله التطور الذي هو سنة الحياة وطبيعة الادب ودرب الفنون التي لا تفنى .

القاهرة

زكي المحاسني

الطفلة الباكية

سيان ان تبكي وان تضحكي ... فلا تقولي : الضحك غير البكاء

كم فى دموع الغيث من صورة ... للحسن لاحت فى شريط الضياء

دموعنا موشور احلامنا ... فرب يأس خيطه من رجاء

احب ما فى الكون من متعة ... قوس سحاب فى جبين السماء

فما الربيع الحلو يا طفلتي ... سوى الذي يهمي بجفن الشتاء

وديع ديب

وهـم شـاعـرة

⊙

روحيـة القليني

*

مصر الجديدة


روحية القليني

رايت فيه كل سحر الامنيات الباسمه
حديثه سمعت فيـه الاغنيات الحالمه
خاطبته فعشت فى دنيا الجمال هائمه
وكان قبل فى خيالي كالطيور الحائمه

عنـد اللقاء خصني بنظرة الحنـان
كـأنه احبني من قبـل ان يرانـي
وبيننـا عبـارة حيرى على اللسان
لو انني نطقتهـا لهـان مـا اعاني !

وحينما قابلته قد حرت فى البدايه !
ابتدي حديثـه ام ابدأ الروايه ؟
والشوق فى الحنايـا اخفيـه للنهايه
ام يا ترى ابدي الهوى من اول الحكايه؟

سألته عـن حالـه فرد لي سؤالـي
ببسمـة مضيئـة شفت عن الجلال
وقص لـي حكايـة سحرية الظـلال
وقال : تلك قصتي بل قصة الليالي

وكنت قـد سمعتهـا روايـة طويله
عن اسمه وصيتـه والنبعة الاصيله
ومعجبات حولـه باللفتة الجميله . .
فقلت ذاك لي انـا ولا ارى بديلـه !!

انا التي احببته مـن قبـل ان اراه
وعشت فى ربوعـه اهيـم فى رباه
وكـل لفـظ قـاله فى خاطري معناه
انـا لـه ولي انـا وليس لي سواه

انا التي كشفت سر روحـه العميقه
لانني مـن معـدن اصوله عريقـه
من معدن الفن الاصيل يدرك الحقيقه
انـا لـه الحبيبـة الوفيـة الرفيقه

فيا لها مـن بسمة مشرقـة السمات
ولفظـة سحريـة تـثير ذكريـاتي
ونظرة عميقـة سرت بعمق ذاتـي
فاسكرت مشاعري وهدهدت حياتي

مضت حياتي قبله فى ظلمة الاوهام
نسجت من خواطري مستقبل الايام
وقصة مثيرة مـن الفؤاد الـطامي
وفى سطور صفتها دمعي مع ابتسامي

ودعتـه والروح بعد ما تزال حائره
فلم ابن رغم الهوى اسرار نفسي الثائره
تركتـه كمـا بدات فى امور عابره . .
وعدت للافكار للماضي لوهم الشاعره !!

خليل نظير والادب الشعبي المصري

بقلم ابو طالب زيان



اظن اديبا فى الشرق ، شغل الناس . وانتزع ضحكاتهم ، وبات حديثهم ، وعقد له لواء الزعامة فى الادب الشعبي كالمرحوم خليل نظير .

فلقد كان الادب العامي ، او ذلك الادب الفني الملحون ، الدال على صور النفوس ، واحوال عامة الناس والاجتماع فى اسلوب ساذج جميل ، اكثر ما يكون ظهورا فى مصر لا سيما قبيل القرن التاسع عشر الميلادي ، ذلك ان هذا الادب الشعبي الموضوع فى اسلوب تهكمي ، المملوء بالنكات الطريفة ، والنقد الرقيق البرىء ، الموشى بالنادرة المستملحة ، كان من الصفات العامة للعقل المصري ، الحريص على النزوع الى الاسترواح ، وبخاصة فى المجتمع البلدي ، الذي تهزه النادرة ، وتطربه الفكاهة الشاردة .

والواقع ان للعامة اخيلة وعبارات تدل على حياتهم الاجتماعية العامة ، كما ان لهم اراءهم الخاصة ، وتحليقاتهم المملوءة بالثقافة الخاصة ، فكيف بطمس هذه الاراء ، وذهاب هذه الاخيلة التي اتخذ منها الدعاة وسيلة لهدم هذا الادب ، وضياع ابداعاته ، وجنحوا الى النيل منه ، والغض من شانه ، وغاب عن كثير منهم ، ان اصول الادب ماخوذة من التفكير العام للشعوب والامم ، ومن صور هذه المجتمعات واحاديثها ، حتى ان ما يوجد فى الشعر الفصيح من الاحكام والامثال واراء الخاصة من الفصحاء والبلغاء والفنيين ، كل اولئك مستمد من خواطر العامة السهلة الموجهة .

لذلك كان احياء الازجال والموشحات والمواليا والكان كان والدوبيت وغيرها من هذه الاداب الشعبية ، بمثابة حدث ضخم فى تاريخ اللغة العربية التي كان دعاتها يحرصون فى استماتة على اخفاء معالم هذه الاداب حتى تظهر اللغة ، وتاخذ طريقها فى يسر وسهولة ، غير ان ابن خلدون ، قد خرج على هذه القاعدة ، وشذ على ما تواضع عليه عرف الخاصة ، وذكر طائفة من الامثال الشعبية المغربية بصناعة الخاصة من الادباء ، تعد بمثابة جرح — فى عرف اللغويين — لا ينكأ فى تاريخ الادب العربي الذي ظل صورة صادقة ، الى ان انقض عليه بمعاول هذه الاداب ، طوائف مختلفةمن الادباء ، وجماعات متباينة من الثقافات ، حاولت التقريب بينه وبين هذا الادب الشعبي ، والمصاهرة بينه وبين هذا الادب الملحون ، وهذه الثقافة الشعبية العامية .

ولقد برز فى هذا النوع من الادب ، كثير من الادباء المصريين ، واصبحوا بمثابة دعاة له ، يحملون رسالة هذا الادب ، ويدافعون عنها ايما دفاع ، وان كان بعضهم قد بلغ به الحماس الى انشاء مجلات لعبت دورا خطيرا فى الحياتين الادبية والسياسية التي كانت تظهر انفعالاتها فى «الارغول» و « اليعسوب » و « الاستاذ » « حمارة منيتي » وبعض كتب كانت ترسم الخطوط العريضة لهؤلاء الجنود الذين حملوا مشعل هذا الادب يرتادون به الطريق ، ، ويسلكون به الفجاج الوعرة التي ارتادها من قبل الادب العربي غير وان او متعثر .

على أن ظهور طبقة من رواد هذا الادب ، امثال: حسن الآلاتي وعبد الله النديم ، والشيخ محمد النجار وامام العبد وخليل نظير ، يعد نقطة تحول فى تاريخ الادب الشعبي الذي كان يحاول ان يثبت فى الميدان ، ويكافح ليصل الى ما يراد له من الصمود والبقاء ، امام تيار عنيد قوي يحمل لواءه صفوة ممتازة ثقفت الادب، وشغفت بتاريخه العريض، لكن كانت عجلة التطور بهذا الادب الشعبي قد استدارت للسير به ، تحدوها الرغبة ، ويملأ ايمانها اليقين والعزم والتصميم على بلوغ الهدف ، وان كان صعبا ، والوصول الى الغاية وان كان السلاح الذي تحمله امضى منه سلاح المدافعين عن الاداب العربية الفصيحة التي لانت الحياة امامها ، ومهدت لها بيئاتها ان تمضي فى غير التواء اوتخاذل، لما كان فى الاستجابة لها من دواعي السمو والانطلاق ، وان كان على العكس من ذلك ريادة الميدان الشعبي ، وترويض النفوس على قبول هذا اللون من الوان الادب ، كان بمثابة الضرب فى مجاهل لا يعلم الا الله مدى ما يصيب الرائد منها من انتكاس او ارتداد ، قد يعيق رسالة هذا الادب ، ويودي بما يتجه اليه هؤلاء الشعراء الشعبيون من اقامة صرح الفهم ، او بناء اشم لرسالته ، غير انه سرعان ما استجابت البيئة الحريصة على تلقف هذا النتاج ،وتعهدت هذا الفرس حتى اثمر ، وكان له بأس وقوة ، وامارة تشابه امارة الشعر الفصيح ، وتناوح الفحول من ارباب الصنعة وائمة البيان .

ولقد كان لظهور خليل نظير فى هذه الحلبة ، الاثر الجليل فى تاريخ تلك الفترة التي تعتبر الفتح الاكبر لهذا الميدان الشعبي الجميل ، فلم تقعد به نشأته عن ان يكون فارسا من فوارس هذا الميدان ، واميرا من امراء الفكاهة وسط نخبة ممتازة تحزبت لهذا الاد ب، واخرى وقفت ترقب فى رفق هذا الادب الوليد فى حجور هذه الجماعة المتادبة المناضلة . كان ابوه مملوكا للمرحوم علي رفاعة الطهطاوي وكذلك كانت امه جارية فى بيت هذا الباشا ، تزوجها ابوه واولدها خليلا الذي عاش فى حجر الرق زمنا فى طهطا ، وادخل المدرسة الابتدائية هناك ، الى ان ارسل الى الازهر ، فجاور زمنا طويلا ، ثم رجع الى هناك ليعمل مدرسا على غير رضا منه . فقد تملكه حب الشعر ، وطغى عليه ميله الى الادب ، ومجالسة الادباء الذين كانوا يتحلقون حول سيده الذي سرعان ما غير نظرته الى خليل ، واخذ يدفعه الى معالجة الشعر ، والى العكوف على القراءة ، لا

سيما وقد انس فى الفتى الاسود خفة ظل ، ولطف محادثة، وملحة نادرة ، مما كان يدفع الى اصطحابه فى نزهاته الخاصة ومجالسة العامة ،ويخصه بكثير من العطف والمعونة التي كان يتطلع اليها خليل ، ويحرص عليها فى شوق ، ويرقبها فى تلهف .

على ان علي رفاعة ، كان لا يضن على الفتى بما تتوق نفسه اليه من حب وعطف ومجاملة ، مما جعل خليل يغير نظرته كذلك الى الحياة ، ويفني فى البحث ، ويدفع بكليته الى مواصلة القراءة حتى يكون اهلا لاصطحاب الباشا له ، ومجالسته فى اي وقت دون ان يكون هناك فارق او حائل يحول دون هذه الصحبة التي خلقها خليل ، وافتن بها الباشا : لعلمه وادبه وظرفه ، حتى انه ما كان يطيب له مجلس الا ويكون خليل احد رواده ، والمقدمين فيه .

ولقد حدث انهما كانا يتجولان فى ليلة مقمرة فى حديقة للباشا ، وقد وضع يده على كتف خليل ، فقال له : اني قائل صدر بيت اذا اتممته اعطيتك ثلاثة جنيهات ، وكان خليل لم ير ظل الجنيه الى ساعته تلك ، فاظهر استعداده لاجازة الشعر . فقال الباشا :

كأن ظلال الدوح والبدر فوقه . . . . .

فاجابه خليل : سطور مداد فى صحيفة كاتب

فما زال الباشا يقول : الله ، الله ، بصوت عال حتى ظن الخفراء انه يستغيث ، فاتوا اليه مسرعين .

كانت هذه الحادثة علامة تدل على ما كان لخليل من ثقافة ، وما توافر عليه من بحث كان يظهر جليا فى مجالس الباشا ، وما كان ينظم خليل من شعر بدوي رصين متماسك ، كقوله فى مطلع قصيدة :

الا من لقلب زائد الشوق واجب	وجفن شجي دائم السهد ساكب
ابيت كما بات اللديغ كأنني	تخذت مهادي من متون العقارب
اسر حديث الوجد عن كل صاحب	واودعه عند الصبا والجنائب
الا يا نسيم الصبا بلغ تحية	لذي شجن عن جيرة الحي غائب

حتى ان الباشا على علمه ، وامتداد ثقافته ، كان يطرب لشعره ، ويتعهد صاحبه بالصقل والتهذيب ، وكان خليل من جانبه يريد تحقيق ظن الباشا فيه ، بالدرس المتعمق ، والوعي الدائب الذي ظهر فى تلك الحقبة الضيقة من حياة الطهطاوي .

غير ان خليلا لم يستطع ان يقيم فى صعيد مصر بعد وفاة الباشا ، ولم يطق الحياة هناك ، فرحل الى القاهرة، وصار يتعيش من الادب ، فكان يحرر عدة مجلات باكملها، وينفق دخله جميعه على نفسه وزوجته التي زوجها له الباشا قبل وفاته ، الى ان كان الزجل هوايته التي برز فيها ، وبز فيها اقرانه الذين عالجوه قبله زمنا طويلا . فكان يكتب اسبوعيا فى جريدة « السيف » ويحرر مجلة «طوالع الملوك » ، وكثيرا من مجلات ذلك العصر ، ممن كانت تعنى بالادب الشعبي ، وتذهب مذهب خليل فى الاتجاه ، والميل الى النقد باسلوب فكاهي جذاب .

على أن خليل نظير كان غريب الاطوار فى حياته الخاصة والعامة ، يغلب عليه الطابع الفكاهي المتحرر ، ذو النزعة المتعمقة المترسبة فى اعماق نفسه المتطلعة ، وكان له مزاج من نوع خاص يظهر اكثر ما يكون فى بيته ومع اصدقائه العديدين الذين اجتمعوا واياه على النكتة الصافية، والنادرة الاصيلة . فقد كان خليل يحلل حياته تحليلا سيكولوجيا بحتا ، ويفهم حياته على انها ربح يجب أن يقسم بين من تعاشره وبين حياته الذاتية التي يحياها لنفسه بعيدا عن مواضعات المنزل ، وروتين الحياة الزوجية التي وضع فى حسابه تقديسها ، وعدم تعريضها — بقدر الامكان — لهذه الهزات التي تنتاب كثيرا من البيوتات التي تكون على شاكلة بيت خليل نظير الذي يتعيش من الادب ، ويتكسب من قلمه العفيف .

والواقع أن خليل نظير ، كان قليل الكسب برغم كثرة انتاجه ، لانه لم يكن ذا طمع يجعله يسعى وراء المادة بالحاف ، فكان يقتسم كسبه بينه وبين زوجته ، فيترك لها النصف لنفقة البيت ، ويجعل النصف الثاني لحياته الخاصة دون جور او تعسف او مساس بكرامة المنزل الذي جعل من نفسه راعيا له ، وكافلا لمن فيه : وهو زوجه القانعة ونفسه المتطلعة .

كان خليل نظير ، من نوع متعمق ، يرمي الى التغلغل فى اغوار النفس ، والتأمل فى هذه النزعة الاصيلة التي انطوى عليها كل الانطواء . فكانت طبعا له ، وعنوانا على ترجمة حياته الميسورة الا من بعض ما يعتورها من سلوك سبيلها فى الحياة ، ونيل من ما تبغيه فى اقرب ساعة ، وادنى وقت، ولذلك كانت نوادره طريفة على الرغم مما فيها من افتئات، وما دخل فى حواشيها من تعمل ، كان خليل يعمد اليه ليخلع على جو النادرة روحه الطريفة ، ويضفي على حوادثها ما امتاز به من قناعة ورضا واستسلام .

فلقد حدث ان امام العبد كان قد نظم قصيدة اجاد فيها بمجد العرب ، فجاء وفد من عرب البحيرة للتعرف اليه، وشكره على قصيدته . فلما نزلوا القاهرة ، ذهبوا الى « قهوة الشيشة » لانتظار امام حيث كان يجلس هو وصحبه ، واذا بخليل نظير قد حضر قبل امام فى تلك الليلة ، فلما علم بامرهم وما جاءوا من اجله ، ادعى انه هو امام ، وتعرف اليهم ، فرحبوا به وشكروه واحتفوا بشخصه، واظهروا له اعجابهم بدفاعه عنهم . وبينما هم جلوس في احتفاء به ، وثناء عليه ، اذا بامام العبد يحضر . فلما رأوه وجدوه هو الاخر اسود . فقالوا لخليل : هذا امام قد حضر .. فمن انت ؟ فقال خليل : انما نحن نسختان اذا حضرت واحدة ذهبت الاخرى ، والسلام عليكم ، وتركهم وانصرف .

غضب مرة على زوجته فهجرها واكترى سكنا له بمنزل بسكة الحبانية وكان يجهل اسم صاحب المنزل ، فسماه « هلم جرا » وصار يناديه بذلك ، حتى اقتنع الرجل ان

حصاد

*

تشك .. فلم لا اكتم وجدي   واحصد للشك ما ازرع ؟
تشك .. فلا آهتي اسمعتك   جواي ولا لوعتي تشفع
اما لي بقلبك بعض الوجيب   ـومالي ذكر ولا موضع ؟

لينفجر الليل .. جم الظلال   ويعتصر الجرح .. او يصفع
ليحترق الكون ولينطلق   على مده اللهب المفزع..
لتفنى على الارض كل الحياة   وكل الخيال فلا يرجع

فلا شاعر كافر يتبقى   عليها .. ولا زاهد يضرع ..
وتطوى الدروب فلا عابر   تشير الى ظله .. اصبع
تموت على الشك (يوتوبيا)   ويحسبها الظن لا تنفع

وينسدل الموت .. رخوا بليدا فلا هو قاس ولا موجع
ويزفر صمت كئيب فلا لهب في المآقي ولا ادمع

اللاذقية   نبيهة حداد

اسمه « هلم جرا » وكان يفتح له المنزل اذا رجع فى المساء وهو نشوان وناداه بذلك .

على ان اخوانه من الادباء ، كانوا يستطيبون مجلسه ، ويستظرفون حديثه ، على الرغم من ان كل واحد منهم ، كانت له تسمية خاصة عنده ، يحلو له ان يسمعها منه لما كان يخلع عليها من تركيبه العجيب من ملحة طائرة ، او فكاهة مفتنة تجعل منه سيد المجلس ، والبارز فى هذه النخبة التي اجتمعت للتسلية البريئة ، والمتعة النفسية الصافية بعد طول جهاد . فما ان يتكلم خليل ، حتى لا ينطق احد فى حضرته ، لما امتاز به من قوة الملاحظة، وحضور البديهة ، وسرعة الخاطر التي اعانته على ان يكون خطيبا مفوها فى اي حفل يدعى اليه ، او ساقته شهوة الكلام فيه. وكان كثير التشهي له ، لما له فيه من افانين يحلو له ان ينشرها على غير ضن منه ، او حرص على اظهارها .

ولقد فكر خليل فى وضع قانون لعمل الزجل ، رسم فيه الاسس التي يجب ان يحرص عليها الزجال فى هذه الصناعة التي اتفق خليل واخوانه على ان تأخذ سبيلها بين الاداب، وتشق طريقها برغم ما ينتابها من حرب قد تقضي عليها ، ان لم يكن الحراس عليها فى يقظة لما يعتورها من هدم ، وما يفعل بها من افاعيل ، لذلك كان خليل يضرب اروع المثل على تطويع بنود قانونه للزجل ، حتى يكون للادب الشعبي قانون عملي توافر على وضعه امام من ائمته غير وان عن النهوض به ، او متقاعس عن السير برسالته بين ركائب الاداب العالمية الراغبة عن هذا الادب الملحون :

الاديب اللي يحب يقول زجل   كل ما يقراه يخليه فى طرب
يقرا احسن ما قالوه الزجالين
يكتب اجمل ما قراه ويكون متين
يحفظ امتن ما كتب يروي الثمين

الى اخر هذا الزجل الذي اطاع خليلا فى وضع القوانين والبنود ...

وهكذا عاش خليل نظير حياته كلها ، عفيفا برغبته ، نزيها بقلمه ، مجاهدا حتى طواه الموت ، وهو اندى ما يكون نفسا ، وانقى ما يكون ضميرا واسلس ما يكون قيادا .

القاهرة   ابو طالب زيان

كان نعيم يسير في طريق ضيقة ملتوية، تقوم على جانبيها بيوت قديمة خشبية الجدران مدهونة بدهان فاقع اللون. كان يسير متباطئا وهو ينظر الى هذه البيوت يريد ان يتعرف البيت الذي يقصده ! فهو لم يره من قبل ، ولكن يسرى رسمت له مخططه بدقة وواعدته ان تنتظره من خصاص النافذة الخشبية .

ومشى طويلا . كان الطريق يضيق كلما اوغل فيه. وكان يلمح بين الفينة والفينة احد الابواب يفتح فيبرز منه وجه امراة مفطى ، ثم لا يلبث الراس ان يرتد بسرعة .

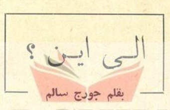
لقد ترك اعماله في « الدائرة » وتذرع لرئيسها بعذر طارىء ،ومضى في طرقات المدينة حتى انتهى اخر الامر الى هذا الحي الذي لم تطأه قدماه قط ، مع انه يقيم في هذه المدينة الساحلية منذ ثلاث سنوات .

كان هدير البحر الهائج يصل الى مسامعه وهو يسير في طريقه هذا ، فالبحر لم يهدأ طوال اليومين الاخيرين. واخرج منديله ليمسح العرق المتصبب منه بغزارة ، وشعر بالحر تشتد وطأته عليه بعد هذا المسير الطويل .

ماذا عسى ان يفيد من هذه الزيارة؟ اتراه اخطأ ام اصاب اذ قبل الدعوة التي وجهتها اليه عينا يسرى النهمتان؟ وخطر له ان يعود ادراجه ليقبع في عقر مكتبه ، يستمتع برطوبة الغرفة، وهواء المروحة ولكنه احس كأن شيئا يجذبه الى متابعة المسير والوصول الى حيث صمم الذهاب ، فليس في ذلك كبير بأس . وهو الى ذلك غريب لا يكاد يعرفه احد في هذا الحي ، بل ان معارفه في المدينة كلها لا يكاد عددهم يتجاوز اصابع اليدين .

واحس باللزوجة تميس في جسمه، حتى كأن جسمه كله استحال الى قطعة لزجة . اتكون يسرى في انتظاره الان ؟ لم يتردد في الجزم بذلك. ولكن ايكون زوجها غائبا ، وابنها نائما كما قالت له . سيكون زوجها كما اكدت له ، بعيدا ، فهو يعمل طوال يومه في المعمل ولا يعود الا في المساء . اما ابنها ! ابنها الصغير الذي لا يفتأ يبكي ويئن فانه لا يحتمل سماع صوته وانينه ؟ يا الهي لماذا يبكي الاطفال ومم يتضايقون ؟

ولكنه سرعان ما تساءل لماذا يبكي هو بعض الاحيان في غرفته ، وما سبب ضيقته ؟ هذا الضيق الذي يأخذ بخناقه كل يوم اذ يخلد الى نفسه فيجد ذاته مسجونا في سجن لا يراه ، ولكن يحس به ، وما اكثر ما حاول الهروب منه الا ان جدران هذا السجن غير المرئية ما تزال تضيق كلما حاول الافلات من اسرها . لقد اراد ان يغرق ضيقه بالمطالعة ، فانكب



عليها وراح يلتهم كتب المكتبة الوطنية واحدا اثر واحد الا انه اكتشف بعد حين انه بحاجة الى الافلات من ربقة هذا السجن الجديد فادرك ان المطالعة كانت له في اول الامر مخدرا لذيذا انساه ضيقه وكآبته ، الا انها لم تعد كذلك بعد حين . كان شأنه في هذا شأن من يدمن على مخدر ثم لا يلبث ان يعتاد عليه ، فلا يشعر بتأثيره بعد ردح من الزمن .

وهرب من نفسه الى الصلاة ،بيد انه لم يستطع ان يجد فيها ما كان يبحث عنه ، لان الله كان بعيدا عنه، وسرعان ما كشفت له الصلاة عن رتابة كان يضيق بها ، ضيقته بتكات ساعة وضعت الى جانب اذنه في الليل ، لقد سر بما في الصلاة من تراتيل وانغام وبخور ، الا انه الف هذه التراتيل والانغام والبخور وشيئا فشيئا راح يتلمس سبيل الهرب منها لانها اصبحت جزءا مما يسميه عالم الكآبة . وعالم الكآبة هذا يشمل كل شيء يعرفه نعيم وكل شيء يألفه . وكل شيء يعتاد عليه فيصبح جزءا من جدار سجنه الذي يحس به ولا يراه ، وقال في نفسه :

ــ ما اطول هذا الحي .

واخرج من جيبه علبة الدخان التي رسمت له يسرى على ظهرها مخطط الحي فرأى انه يسير في الاتجاه الصحيح وانه قطع شوطا كبيرا من الطريق ، ولم يبق امامه غير امتار قليلة وينحرف بعدها الى اليمين ليرى الدار ذات النوافذ الزرق في الطابق

ورأى نفسه يردد احد الالحان التي يحفظها . كان من عادته ان يترنم بلحن منها كلما وجد نفسه في موقف خاص مضطرب ، في صباح ايام الامتحانات ، وفي ايام العمل العصيبة وفي ساعات ضيقه . كان قد التجأ الى الموسيقى فيما التجأ اليه ،وانغمر في جوها شهورا طويلة ، والحق ان الموسيقى شغلت نفسه وصرفته عن ضيقه اطول وقت ممكن . كان يشتري مما يدخره قطعا من الموسيقى الكلاسيكية ، ثم يجلس في غرفته يستمع اليها ولكنه ما ان يحفظ اللحن ويصبح قادرا على ترداده حتى يزهد فيه ويميل الى غيره . والاثار الكلاسيكية كثيرة ومتنوعة ولذلك فقد قضى منها وقتا طويلا ، كان ينسى فيه الزمن والضيق ويشعر بنوع من الخدر لذيذ ، ولكنه كان يشعر في الوقت نفسه ان الانغام بعيدة عنه ، وانه يجري وراءها فلا يكاد يمسك بها . فهو كطفل صغير يريد ان يسابق طائرة مرت فوق راسه بسرعة ، ولم تترك في نفسه الا اثرا هو مزيج من الاعجاب والدهشة والحسرة والضيق

كان عجزه عن تحقيق ما يريد . وجهله لما يريد ، يزيدان ضيقه يوما بعد يوم ، ومرت به فترة ، غلف فيها



الاسطوانات ووضعها فى احد الادراج، ولم يبق له منها سوى هذه الانغام التي يرددها بين الحين والاخر .

وانتهى اخر الامر الى البيت. كانت الساعة تشير الى الثانية عشرة وتعرف البيت بسرعة ، فقد لمح من خلال النافذة عيني يسرى النهمتين الشرهتين ، المفعمتين شهوة واضطراما ترقبانه ، واستدارت العينان وفتح الباب بسرعة واطبق بسرعة .

* * *

١٠ اب ١٩٤٥

كانت امه قد اتخذت لها الخياطة مهنة تعيش منها بعد موت زوجها ، فابوه الذي قضى فى عنفوان شبابه لم يخلف الا تعويضا يسيرا نفد بعد سنة وبعض السنة ، فاضطرت امه ان تلجأ الى هذا العمل . فنعيم فى الخامسة عشرة واخته ليلى فى التاسعة وليس من مساعد يستطيع ان يمد لها يد العون .

وفعلا فقد خصت لهذا الغرض احدى غرف الدار الصغيرة التي كان زوجها قد ورثها عن امه ، فوضعت فى صدر الغرفة مرآة كبيرة ، ونقلت الى الغرفة هذه بعض الاثاث وآلة الخياطة التي اشترتها بعد زواجها .

ولم تقدر قط انها ستعيش من ثقب ابرتها . كانت خلال هذين الشهرين قد خاطت بعض الاثواب لجاراتها وصديقاتها وراحت تقوم لها بعض سمعة فى المنطقة التي تسكن فيها واخذ العمل يزداد شيئا فشيئا وآنذاك وجدت انها بحاجة الى عاملة نشيطة تساعدها فى عملها وتأخذعنها القيام ببعض الامور الثانوية .

واستطاعت بعد لأي ان تعثر على فتاة مجدة كان يريد لها اهلها ان تتمرس بالخياطة ، فرحبت ام نعيم بقبولها عندها، ووعدتها باجراسبوعي زهيد تشجيعا لها ، واطمأن الاهل المحافظون الى هذا البيت الهادىء الخالي من الرجال وسار كل شيء سيرته الطبيعية . واصبحت يسرى تأتي يوميا الى منزل الخياطة . كانت اخته الصغيرة تحل طوال الصيف على بيت خالتها تلعب مع اولادها الصغار ، وكان هو يمضي اوقات الصيف بالمطالعة فى المكتبة الوطنية وكان يسترق فى ذهابه وايابه ، بعض نظرات الى يسرى ، واصبح بعد حين يبادلها كلمات قصيرة سريعة ثم غدا يأتيها ببعض الاخبار ويروي لها شيئا من القصص التي يقرأ . وركنت اليه يسرى واصبح نعيم يجذب قليلا عينيها.

فى هذا اليوم كان العمل كثيرا فطلبت الام الى معاونتها ان تظل عندها تتناول طعام الغذاء معها اقتصادا فى الوقت، وتجنبا لحر الطريق الشديد والقيلولة بعد الغذاء ، فالعمل يجب ان ينجز مساء .

ولم تنتظر الام موافقة يسرى بل سارعت الى المطبخ تعد الطعام ، ومن ثم نزلت الى غرفة الطعام التي تقوم فى قبو تشع فيه رطوبة مستعذبة فى الصيف ، ولما انتهت من اعداد كل شيء ، نادت من القبو :

ـ يسرى ، نعيم ، هيا انزلا !

وانتظر نعيم ان تقوم يسرى ، ولكنها لم تبد حراكا ، فوقف امام الكوة وخاطب امه :

ـ ان يسرى لم تتحرك

ـ انزلها بسرعة لا داعي للخجل : انني جائعة وسأبدأ بتناول الطعام قبل ان يبرد، وقفز نعيم الى غرفة الخياطة كانت يسرى منكبة على عملها .

ليس يدري لماذا احس باضطراب مفاجىء ، وبارتجاف فى يديه اذ وجد نفسه وجها لوجه امام يسرى .

ـ هيا

ـ ولكنني لست جائعة

ـ لقد طلبت امي الى ان احملك على النزول

ـ حاول اذا استطعت

ومد يده فوضعها على يدها كانت تلك هي المرة الاولى التي يلمس فيها يد فتاة . فاحس بحرارة عذبة . لم تضطرب يسرى ولم تحاول ان تنزع يدها منه ، واذ وثق من ذلك مد يده الثانية ، وحاول بكلتا يديه ان يشدها لكنها ثبتت فى مكانها ، وكأنما اعجبتها محاولة نعيم هذه .

ومال الى اذنها يقول :

ـ دعي العمل وانهضي

فاجابه صوت مرتجف فيه بحة متوترة :

ـ لقد تركت العمل وسأنهض بعد قليل ، هل انت مستعجل ؟!

اضطربت الكلمات فى ذهنه اول الامر ، ثم فهم قصدها وظل حانيا عليها يختلس النظر الى صدرها الواسع الاسمر، واذ رمقته ورات الى ماينظر شدت بيدها على يديه وارتفعت بهما شيئا فشيئا حتى لامستا صدرها واستنشق وهو مائل اليها رائحة خفيفة باهتة تنبعث من شعرها ، فقرب منه شفتيه، واذ طبع عليه قبلة ضحكت يسرى وتمتمت :

ـ لا تؤخذ القبلة من الراس !

بعد لحظات كان الاثنان ينزلان درج القبو ليتناولا طعام الغذاء . وقد اضطرم وجهاهما بعض الاضطرام .

ومنذ هذا الحين راح نعيم يقلل وسعه من زياراته للمكتبة الوطنية ويستعيض عنها بالجلوس قريبا من النافذة يتطلع الى يسرى بعينين عارمتين وقد وضع قدمه فى عالم لا عهد له به ، وكان كلما اكثر من القبل شعر بمزيد من الحاجة اليها ،شأنه شأن عطش ينهل من ماء بحر كلما شرب منه ازداد عطشا على عطش .

* * *

٢٨ نيسان ١٩٤٤

كانت الحصة الاولى من كل يوم خميس خاصة بدرس الديانة . فبعد صلاة الصبح اليومية الاجبارية خرج الطلاب الى باحة المدرسة يلعبون . اما نعيم فلم يكن قد نزل الى الباحة لانه موكل بالاهتمام بالمعبد وترتيب الهيكل واطفاء الشموع بعد انتهاء الصلاة . لقد وقع الاختيار عليه منذ سنوات للقيام بهذا العمل وليس من يدري علة هذا الاختيار ، فقد يكون مرد ذلك الى هدوئه ودقته او الى النزعة الدينية القوية المتأصلة فى نفسه، تلك النزعة التي تغذيها هذه الصلوات

المستمرة ، وتمضيته لاكبر قدر من وقته فى المعابد ، واهتمامه بالصلوات جميعا . بينما كان رفاقه يهربون من ذلك كله ، وينامون فى الصلاة ، او تشرد منهم الاذهان فى لعبة من اللعب، او يستغلون المراقب ليتموا همسهم فى سلسلة احاديثهم التي لا تنقطع .

وحين اغلق نعيم باب المعبد ذلك اليوم كان الجرس على اهبة ان يقرع . فاقترب من باب الصف انتظار الصوت الجرس .

كان يحب درس الديانة ، ويتعجل الدخول ، ذلك بان الكاهن الكهل كان يرقى به وفى دروسه الى آفاق يحبها، وكان يشعر اما ازدادت ثقافته الدينية وفهمه لبواطنها انه اصبح اكثر غنى ، وكم حدثته نفسه ان يصبح كاهنا ، ولكن امه كانت تصرفه عن هذه الافكار صرفا قاسيا وتحظر عليه طرقها من قريب او بعيد .

دق الجرس ، فكان نعيم اول الداخلين ، وسرعان ما احتل مكانه فى الصف الاول بينما كان بقية الرفقاء يتلكؤون فى الدخول وهم على ثقة من طيب قلب هذا المدرس ، كانوا جميعا يعرفون ان هذا الدرس انما كان لتزجية الوقت . وربما عمد بعضهم الى كتابة الوظائف او وضع مخطط للنزهات او المشاريع التي ينوون القيام بها ظهر الخميس .

جلس المدرس الى الطاولة الكبيرة بعد ان صلى طويلا . وقال على عادته:

ـ افتحوا الفصل التاسع من انجيل متى حيث توقفنا فى الدرس الماضي .

ووضع الطلاب اناجيلهم امامهم مسايرة واستعدوا للشرود . كان نعيم وحده يصغي وقرا الكاهن :

ـ « واذا بانسان تقدم اليه وقال: يا معلم ، ماذا علي ان اعمل من الصلاح لاحرز الحياة الابدية ؟ قال له : لم تسالني عما هو صالح ، انما الصالح واحد ، ولكن ان شئت ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . فقال له : اي الوصايا ؟ قال له المسيح : لا تقتل، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، اكرم اباك وامك، وايضا احب قريبك حبك لنفسك . »

وراح الكاهن يشرح هذا النص . وكان كلما سمع اصوات التلاميذ تعلو بعض الشيء نقر باصبعه على الطاولة فيعود الصمت الى حين ويشعر الطلاب انهم انما رفعوا اصواتهم اكثر مما ينبغي ، وعاد الكاهن يشرح النص :

ـ « ان الآية الاخيرة توضح لنا مفهوم العلاقات الانسانية وتشرح ما قبلها من الوصايا، لقد طلب الى الانسان ان يحب قريبه كما يحب نفسه، واذا فهمنا هذا فاننا نفهم فى الوقت نفسه معنى كل وصية ، ونرى بوضوح انها ترتبط بهذه الآية التي اعتقد انها من اهم الآيات فى الكتاب المقدس فالذي يحب قريبه لا يقتله ، ولكي يقتله لا بد ان يشعر نحوه بشعور آخر غير المحبة والذي يحمل فى نفسه مثل هذا الشعور لا يمكن ان يكون مؤمنا. وكذلك القول فى من يسرق قريبه . ان الذي يحب قريبه لا يسرقه ولا يشهد عليه زورا ، واذا كنا مطالبين بمحبة قريبنا فان ابانا وامنا هما اقرب القريب الينا . »

ورفع نعيم يده يستاذن بالسؤال . فوخزه زميله على عادته ، ان لا حاجة للاسئلة ولكنه لم يأبه به ومد اصبعه. كان الطلاب جميعا يسخرون من رفيقهم نعيم الذي لا يفتأ يسأل فى كل درس، وفى دروس الديانة على الاخص :

ـ نعم يا بني

ـ ما العلاقة بين احب قريبك حبك لنفسك بالوصية : لا تزن ؟

استرح سأجيبك عن هذا السؤال .

تنحنح المدرس قليلا ثم قال :

ـ ان الذي يحب قريبه ، لا يزني به ، لانه بهذا العمل يسرق منه اعز ما يملك ، فهو يجرح صميمه ويهين كرامته ، ان كرامة الانسان هي اثمن مايملك وفى الزنا تنتهك كرامة الانسان. فهل يرتكب هذا الاثم انسان يحب قريبه حبه لنفسه، وهل يقبل الانسان ان يهين نفسه وينتهك كرامة ذاته؟ هل ادركت الان العلاقة ؟

وقال نعيم : نعم لقد ادركتها !

البحر هائج هذا اليوم ، وامواجه تتصارع باستمرار فتخلف على سطحه آثارا تبدو من بعيد كقطع من الصخر الابيض ، والطقس حار وعرق لزج يلصق بالجسد من قمة الراس حتى أخمص القدمين .

البحر هائج والامواج تتصارع وفى النظر اليها تسلية متجددة تنسي الناظر اليها الرتابة والملال . ونعيم جالس فى المقهى الاخضر على شاطىء البحر ، وقد وضع كرسيه بحذاء الصخرة الكبيرة التي يتحطم عليها الزبد كل ثانية .

كان هذا يوم عطلته الاسبوعية ، فلم يجد افضل من هذا المقهى يذيب فيه وقته، ينظر الى الطريق مرة والى البحر مرات ، مستجيبا لهذه الحركة الدائمة المتجددة المتغيرة . وسرح بصره فى المدى ، فراى اللون الازرق القاتم يصبغ سطح البحر ويمتد بزرقة السماء الشفافة فى الافق البعيد.

كان من عادته ان يزجي اوقات الفراغ من كل اسبوع فى هذا المقهى ، ورغم الفته لهذا المكان وكثرة تردده عليه فانه ما يزال يشعر فيه بالغربة . ولم يستطع الى الان ان يقيم علاقات بينه وبين رواد المقهى الدائمين .

وحانت منه التفاتة الى الجانب الخاص بالعائلات فراى عينين سوداوين تحدقان فيه ، وسرعان ما تعرفهما ، ذلك بان الزمن لم ينسه تجربته الاولى معهما ، وشعر بهما تستدعيانه فترك مكانه وامهما .

ـ يسرى ، كيف حالك ؟

ـ بخير وشوق ، وانت ؟!

ماذا عسى ان يحدثها عن نفسه ؟! اتراها قادرة على تفهم ضيقه العميق وضياعه الكئيب ، ، وبحثه الضائع عن اشياء لا يعرفها ، ورغبة فى الفرار من قيود لا يدركها . وقال لها :

ـ ما ازال احياكما ترين! وانت؟

وقبل ان يسمع منها جوابا كان قد رأى ابنها الصغير فلم يعد بحاجة الى مزيد من الاستفسار . لقد تزوجت

وانجبت الطفل، وهي تعيش كما يعيش الناس جميعا.
ـ لقد تزوجت منذ ثلاث سنوات
ـ وهل انت سعيدة ؟
وهزت راسها وابتسمت ثم تمتمت:
ـ السعادة شيء نشعر به في فترات قليلة ومتقطعة، اما بقية الاوقات فكما تعلم..
وابتسم هو الاخر اذ استشهدت بعلمه في هذا الموضوع. حقا انه ليعلم.. وسألته عن امه وعن عمله، فاخبرها ان امه ما تزال تعيش من عملها الى جانب مساعدته الضئيلة لها. وانه ينتظر نقله الى مدينته بين شهر وشهر
وراحت تحدثه هي عن زواجها، وزوجها واقامتها في المدينة الساحلية وغربتها المضة، ودخل زوجها المحدود. وعنايته المزعجة بتربية الحمام والانشغال به طول الوقت. ثم عاد هو يحدثها عن نفسه وكآبته وضجره، لتعود فتحدثه من جديد عن نفسها وحياتها وبؤسها.
وهكذا فقد التقت كآبتان قاتمتان على شاطىء بحر قاتم، وعلى هدير الامواج راحت تتعرى كل كآبة، كأنما لتلقي بنفسها في اغوار اليم. وما ان كان يصمت صوت احدهما حتى يشرع الاخر في سرد حديثه، واذا ما اراد ان يستريح قليلا سارع الصوت الاخر ليتابع حديثه الذي قطعه وهكذا، والواقع انهما ما كانا يتحدثان وانما كل منهما يتحدث الى نفسه وعن نفسه ولكن على نحو متناوب.
ولما انتصف النهار قامت مودعة ودعته الى المنزل، فهناك كما قالت مجال اوسع للكلام عن الكآبة ومحاولة التغلب عليها.
ـ ولكن زوجك ؟
ـ لا تخش شيئا فانت صديق الصبا، وزوجي لن يكون في المنزل، لانه يغادره في الصباح ولا يعود اليه الا بعد الغروب.
ـ وابنك ؟! انني اتضايق من الاطفال.
ـ لا تقلق، فسيكون نائما !!

٧ تموز ١٩٥٢

لمح من خلال خصاص النافذة عيني يسرى النهمتين ترقبانه، ولم يكن بحاجة الى ان يقرع الباب اذ سرعان ما وجده يفتح وتقف يسرى مستترة وراء احد مصراعيه، ودخل نعيم، لم يكن ما في الغرفة يوحي بالثراء او الطمأنينة، اثاث قديم لا يدل انتقاؤه على ذوق مرهف او اناقة متميزة. كان الوقت ظهرا وكانت الشمس حارة في الطريق، الا ان المنزل كان معتما، والرطوبة فيه مستعذبة وتناهت الى سمع نعيم اصوات غامضة بعيدة، هي اصوات الجارات يصرخن ويتشاتمن. والتفت اليه يسرى تقول:
ـ ارايت، ان الجو هنا لا يطاق. لقد دفع بي اهلي من عزلة منزلنا وهدوئه والالفة التي تسيطر على الاسرة، الى هنا. ولست ادري سبب ذلك.
ـ واجاب بهدوء:
ـ امن الضروري ان يكون لكل عمل سبب.
ثم اضاف.. وزوجك ؟
ـ لا تخف انه لن يأتي فموعد عودته غروب الشمس. سأقدمك له على انك صديق لاسرتنا وجارنا وزميل الطفولة، الا يكفي كل هذا. وعلى كل فانه لن يأتي ثق بذلك.
واختفت لحظة لتعود بعدها وقد حملت فنجانين من القهوة وعلبة السكاير.
واقاما يستعيدان الذكريات، وكلما مضت ثوان ازدادا تفاهما وتقاربا، حتى تماست منهما الكتفان وانفجر ضيقهما في قبلة طويلة حارة، الا انها كانت لتزيد في ضرامتها. وتغلبا على الضيق الى حين وتغلبا على الزمن فلم يشعرا به. كان نعيم قد عزم على ان تكون زيارته قصيرة لا تتجاوز ربع ساعة، فاذا بها تمتد الى ساعة ونصف الساعة.
نهض نعيم يسوي ثيابه المضطربة المشوشة، وودع يسرى على ان يلتقي بها في فرصة اخرى. سار في الطريق الضيقة الطويلة التي جاء منها. كانت ارض الشارع ملتهبة فلم يكن احد يسير في الطرقات اذ ادخل الحر العنيف كل انسان الى جحره، ولكنه مع ذلك شعر ان كل ما في الطريق ينظر اليه، وان كل نافذة هي عين ترمقه شذرا، وتغمره مشيرة الى ما فعل.
وحين اوى في المساء الى فراشه. امتنع النوم عليه. وراح شبح مدرس الديانة يتراءى له من بعيد، وترن في اذنه كلماته.
واحس بصداع ينتابه وضيق يعضّ صدره. والحت عليه تساؤلات عديدة. وشعر انه اصبح قطبا في دوامة تدور وتدور، ولا سبيل الى ايقافها، وسال منه العرق باردا. وشعر بالوحدة والغربة والفراغ والضيق. العالم كله شر، وهو ايضا جزء من العالم، والشر لا يغلب الشر، فلا مفر من هذه الحلقة، وشعر ان حلقات تضيق وتضيق على عنقه حتى ليكاد يختنق وان النور والضياء يختفيان شيئا فشيئا حتى ليكادان يحتجبان في بحر من الظلمات واسع. والح عليه النوم الحاحا حادا، وشعر كأن في ضميره ابرا توخزه وخزا يرتجف له جسده، فيحرك يده قائلا: لا واقسم في اعماقه انه لن يعود فيقع في المعصية من جديد.

* * *

٨ تموز ١٩٥٢

وجد نعيم نفسه يتقدم من مدير « الدائرة » ليطلب منه اذنا اخر بالتغيب.
وفي هذه المرة لم يتطلب منه الوصول الى منزل يسرى وقتا او جهدا ذلك بانه عرف الطريق والدار بسرعة عجيبة...

حلب — جورج سالم



محمود بن الشريف

منحف لغوي للالفاظ الغريبة

بقلم محمود بن الشريف

عضو مراقبة الكتاب بوزارة التربية

لغة الضاد وان كانت غنية بالفاظ لها رنين خاص، وجرس معين ونغم مقبول ووقع موسيقي يؤثر فى الوجدان والعاطفة ـ الا انها فى الوقت نفسه تغص بكثير من الكلمات الحوشية الغريبة التي ينفر منها الذوق وينأى عنها السمع. والالفاظ التي بهذه الكيفية يجب ان تعتقل فى بطون المعاجم ولا تستعمل فى ادبنا وكتبنا وكتاباتنا وخطبنا الا الالفاظ السهلة السلسة ذات الوقع السائغ المقبول ، وبذلك نضمن للغة ذيوعا وانتشارا ، ونكسب لها قراء وانصارا من الذين تسحرهم العبارات الرقيقة الرشيقة وتبهرهم الالفاظ المأنوسة المألوفة.

وليس هذا بالراي المبتدع او المذهب المبتكر ، فزهير بن ابي سلمى الشاعر الجاهلي الفحل كان يعمد الى شعره فيهذبه ويشذبه ، وينقيه من الالفاظ التي لم يألف الناس فى ايامه سماعها، ويباعد بين قصيده وبين الكلمات المهجورة التي لا تطرق الاذن الا لماما . وفى مناقشة ادبية بين عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما ، يقرر الخليفة عمر أن شعر زهير استحق الخلود « لان زهيرا كان لا يعاظل فى القول ، وكان يتجنب حوشيه » .

وقال عمر بن عبيد « ان اردت تقرير حجة الله فى عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وتزيين المعاني فى قلوب المستفهمين، فعليك بالالفاظ الحسنة الوقع فى الاذان، المقبولة عند الاذهان » . وفى كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري « ان كان الكلام اذا كان لفظه غثا ومعرضه رثا كان مردودا ولو احتوى على اجلّ معنى وانبله » . ولقد اجمع النقاد على ان السر فى ذيوع شعر بشار بن برد وكثرة دورانه على الالسن ان بشارا قد رققه حتى حببه الى النفوس فصار كل فتى يردده وكل فتاة ترويه ، لا يظهر فى لفظه استعصاء ، بل هو كلام ككلام العامة سهولة وليونة .

ومن العجب العاجب ان بعض القدامى من النقاد كانوا يطربون للالفاظ ويغرمون بالكلمات الخشنة الجافة ، وكانوا يرون ان السهولة عيب يجب أن يتجنبه المتكلم ويتحلل منه كل كاتب واديب . ومن ثم حكموا على ديوان الشاعر صفي الدين الحلي بانه « لا عيب فيه الا انه خال من الالفاظ الغريبة » . وما اروع صفي الدين حينما عقب على هذا الحكم بتلك القصيدة التي قال فيها :

انما الحيزبون والدردبيس	**والطخا ، والنقاخ ، والعطلبيس**
والفطاريس ، والشقحطب والسقـ	**ـب والحربصيص ، والعيطموس**
والجراجيج والعفتقس والعفلـ	**ـق والطرفسان ، والعسطوس**
لغة تنفر المسامع منها	**حين تروى وتشمئز النفوس**
وقبيح ان يسلك النافر الوحشي	**منها ويترك المأنوس**
ان خير الالفاظ ما طرب السامع	**منه ، وطاب فيه الجليس**
درست هذه اللغات واضحى	**مذهب الناس ما يقول الرئيس**
انما هذه القلوب حديد	**ولذيذ الالفاظ مغناطيس**

من اجل ذلك ، ماذا علينا لو باعدنا بين النشء ، من الطلبة والادباء ، وبين الاساليب والقصائد التي تبنى من كلمات هامدة جامدة والفاظ قديمة عتيقة؟ ثم ماذا يضيرنا، لو خطونا بعد ذلك خطوة حاسمة تجاه بعض قصائد الشعر الجاهلي ذات الالفاظ الميتة والمعاني الساذجة المفككة التي لا يربطها وحدة ولا يجمعها غرض ، فصرفنا عنها الانظار واستعضنا عن دراستها بدراسة الوان هادفة من الشعر فى العصور الاسلامية والحديثة ؟ اننا لو اتجهنا هذا الاتجاه فى دراستنا ومدارسنا لربينا الذوق الأدبي عند النابتة ، ولحببنا النشء فى الادب ، ولاغريناهم بالحفاوة به والتبريز فيه ، ولازلنا عن كاهلهم ما يلاقونه من عنت وارهاق فى تفهم شعر ذي معنى سطحي ساذج ، ولفظ كأنه الطلسم !!

ان كل من يتصدى للادب ودراسته وتدريسه ـ ولاسيما فى المرحلة الثانوية ـ يلمس مدى الضياع الذي يلاقيه طلبة هذه المرحلة نتيجة لدراسة هاتيك القصائد المغلقة الالفاظ، ويرى ان الخير كل الخير فى ان لا نحتفل بدراسة الشعر الجاهلي فى المرحلة الثانوية ، لان التلاميذ تتفتح عيونهم الادبية فى مطلع هذه المرحلة على قصائد قد بعدت عن الرقة والسلاسة، واغربت فى الغرابة ، وتوغلت فى الجفاف وزخرت بما يميت الذوق الادبي ، وبما يصرف الطالب والمتأدب عن الهيام بالادب العربي والاحتفاظ به ، ماذا يستفيد طالب هذه المرحلة من شعر كهذا الذي يقول فيه صاحبه الاعشى:

ربيعي

* * *

خرجت لنزهتي يوما … ونور الفجر مرفض
وقد سال على الوادي … فمحمر ومبيض
فقال الورد لي مهلا … وقال السوسن الغض
ربيعك عاد فانظره … وعاد شبابه البض
فقلت وناظري يرنو … الى برق له ومض
ربيعي لم يجيء بعد … ولم تنعم به الارض

ربيعي يوم لا جهل … على الارض ولا بغض
ولا فقر ولا حرب … ولا رفع ولا خفض
ولكن رحمة عمم … وحب خالص محض

تبسم ساخرا مني … غراب ... ما له نهض
وصاح البوم من حولي … بناؤك سوف ينقض
وعمرك سوف تخسره … وشملك سوف ينفض
فهذا الابد الداجي … كتاب ما له نقض
فقلت ورائدي امل … كأن شعاعه فيض
وعزمي ما به وهن … وجفني ما به غمض
ربيعي سوف ابلغه … وان طال بي الركض
وان مت على الدرب … وزايل قلبي النبض
فبعضي سوف ادفنه … ويبقى خالدا بعض
فتزدان به الدنيا … وتفرح امه الارض

حلب … **عمر ابو قوس**

لقد غدوت الى الحانوت يتبعني … شاو مشل شلول شلشل شول

والشواهد من هذا القبيل اكثر من ان تحصى .

الستم معي ايها الادباء والمربون فى ان من حصانة الراي وزكانته ان نبعد الناشئة عن اساليب عتيقة والفاظ بالية دراسةغدت مثارا لتعليقاتهم وافاكيههم ، ونجعلهم يطرحون العبارات التي ينبو عنها السمع ويتداولون منها السهل السلس الذي يتلاءم مع حياتهم او يتواءم مع مقتضياتها ؟ امـا الالفاظ التي فقدت مدلولاتها واصبحت « تحفا » فيجب ان تقبع فى المتاحف اللغوية لمن شاء ان يرجع اليها ويتخصص فيها .

القاهرة … **محمود بن الشريف**

بقلم ليونارد كوتريل

اعظم شأناً من كليوباطرة

ترجمة مبارك ابراهيم

ترجع حضارة الانسان الى خمسين قرنا او ما يقرب منها. وفي تلك الحقبة ظهرت ملكات كثيرات قد بلغن من العظمة ما بلغن . ولكن اولئك الملكات قد اختصت كل واحدة منهن بلون من العظمة فهيلينا اليونانية اشتهرت بجمالها واليزابث الاولى الانجليزية بعلمها وقدرتها السياسية وكليوباطرة بمفاتنها وبحوادثها الغرامية . .

ولكن المرء قد يقضي عمره باحثا ومنقبا ليجد امراة قد جمعت بين العلم والسياسة والجمال وفنون الجندية . وكانت في تلك الميادين فى الذروة والسنام . . وتلك المرأة وجدت فى شخص المترجم لها . .

أما جمالها فيكفي فى التعريف به ان كل الكتاب الذين عاصروها قد خروا لجمالها ركعا واما علمها فقد كانت تحسن الحديث باللاتينية والاغريقية والسريانية والمصرية . . وقد كتبت موجزا لتاريخ الشرق . وقامت بينها وبين الفيلسوف الكبير (لونجينوس) رابطة من الصداقة . وكانت تضفي عليه كل حمايتها (كان هذا الفيلسوف من اتباع الفلسفة الافلاطونية . تعلم فى الاسكندرية وعلم فى اثينا . وقد تولى حينا تعليم اولاد زنوبيا) .

وكانت بوصفها جنديا وقائدا تسير مشيا على الاقدام مسافات طويلة وهي تتقدم قواتها . وكانت تشرب الخمر مع قادة جيشها بالكبير وبالصغير . واستطاعت ان تهزم فى الميدان جيشا من جيوش الرومان . وظلت زمنا قصيرا تحكم امبراطورية امتدت رقعتها من النيل الى الفرات . .

اما اسمها فزنوبيا . وكانت مدينة (تدمر) السورية مقر حكمها فى القرن الثالث بعد الميلاد . ومدينة تدمر هذه هي احدى مدن العالم التي تثير فى النفوس كوامن الخيال . . وفى كتاب معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ان تدمر مدينة بالبرية على طريق الشام بنتها الجن لسليمان . قال النابغة :

وجيش الجن اني قد اذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح والعمد

واذا طار المرء اليها اليوم بالطائرة من دمشق لاحت له على حين بغتة بقعة عريضة خضراء فى وسط رمال الصحراء الداكنة ثم بدت لناظريه خرائب المدينة الضخمة وقد برزت الاعمدة الرومانية العالية على طول الطريق وكأنها اعواد من الثقاب غرزت فى الرمل وقد القى كل واحد منها ظلا يرتفع طولا وينبسط عرضا . وقد بدت لعيني الرائي المعابد والبيوت والاسواق والشوارع وقد تعارضت وتشابكت وقام حول كل اولئك الشجر الاخضر. ذلك لان مدينة تدمر تقوم فى وسط واحة من الواحات . اما الهيكل الضخم هيكل « بعل » او هيكل آله الشمس فيعكس على تلك الخرائب كل يوم اشعة شمس الصباح . واما الناظر الى جو السماء فيرى سماء ما شابتها شوائب الغيوم .

ويشق المدينة شارعان رئيسيان يبلغ طول الواحد منهما ميلا ونصف ميل . وهما يلتقيان عند تمثال ضخم صنع من حجر الجير . وهناك على عمود بالقرب من ذلك المكان نقشت كتابة اغريقية تحمل اسمي زنوبيا وزوجها اوديناتس (وهو امير تدمر . . هزم الفرس . واعترفت بهروما حاكما مستقلا . ومات مقتولا . وخلفته زنوبيا على العرش) .

وكان (اوديناتس) واحدا من شيوخ تدمر البارزين فى منتصف القرن الثالث بعد الميلاد وفى ذلك الحين اغار « سابور بن أردشير » ملك الفرس على الحدود الشرقية للامبراطورية الرومانية فعبر هذا القائد نهر الفرات ودمر بعض الحصون الرومانية القائمة على الحدود واشاع الرعب واعمل يد السلب والنهب فى بلاد حلفاء روما الشرقيين .

وعقد الامبراطور « فاليريان » العزم ـ على ما به من شيخوخة وهرم ـ على ان يتولى بنفسه قيادة جيش يسير به الى بلاد الشرق ليحمي الثغور المهددة . والتقى القائدان الروماني والفارسي بالقرب من مدينة (اورفه) وانهزم القائد الروماني ووقع فى اسر (سابور) . وغر هذا نجاحه فتقدم بالهجوم على انطاكية وسلبها واحرقها . . ولم يلبث الا قليلا حتى جاءه رسول من (اوديناتس) يقدم له الهدايا ويحمل خطابا مهذب اللهجة ولكنه لا ينم عن استخذاء وخضوع . .

وتساءل القائد الفارسي مستجهلا : ومن يكون هذا الاودیناتس الذي تدفعه الجرأة والوقاحة على ان يكتب خطابا الى سيده ؟ فاذا كان هذا الرجل يبغي التخفيف من وزر ما ارتكب من اثم وما اجترم من جرم فليخر ساجدا امام عرشي ويداه وراء ظهره . .

ثم امر القائد الفارسي بالهدايا فالقيت فى نهر الفرات .

وكان جواب « اودیناتس » ان جمع جموع جيشه الصغير الذي جاء به من قرى الشام ومن خيام الاعراب . والتقى بسابور فهزم جيشه وحال بينه وبين الارتداد . . ثم استولى على كنوزه وسبى كثيرات من حظاياه . واضطر جيش الفرس الى الانسحاب ـ وقد بدا الاضطراب بين صفوفه ـ الى ما وراء نهر الفرات . .

« وبهذا العمل الباهر ـ يقول المؤرخ (جيبون) وضع (اودیناتس) اساس صيته ومستقبله فقد صان هذا القائد العربي السوري من اهل تدمر عظمة روما من ان يدوسها وينتهك حرماتها رجل من الفرس » . .

ومكافاة له على هذا الصنيع الباهر اضفى عليه جالينيوس ـ الذي خلف الامبراطور فاليريان على الحكم ـ لقب « اودیناتس العظيم » او « اغسطس اودیناتس » ثم جعله

حاكما على الشرق فشاركته زنوبيا هذا المجد والسلطان .

وليس يعرف التاريخ شيئا عن « زنوبيا » فى نشأتها الاولى وان كانت هي تدعي انها من سلالة الملوك المقدونيين . وكانت ترى فى كليوباطرة واحدة من اسلافها . ويبدو انها قد تلقت العلم فى الاسكندرية . ذلك لانها كانت تتكلم اللغة المصرية واللغات الاغريقية واللاتينية والسريانية . . ويصفها احد الكتاب القدماء فيقول :

كانت سمراء شديدة السمرة . ذات عينين دعجاوين تفيضان بالسحر وتقذفان بالشرر وكان محياها جميلا فاتنا . وكانت ظريفة مليحة اللمس حلوة التثني . وكانت اسنانها كأنها سمط من اللآلىء . وكانت ندية الصوت عذبة الجرس . .

ويتحدث « جيبون » عنها فيقول : يتبين من علمها باللغات انها قد ادبت فاحسن تاديبها . وان براعتها في اللغتين اللاتينية والاغريقية توحي بانها كانت تحيط باخبار العالم اكثر من كثير من رجال حكومتها . بل اكثر من (اوديناتس) نفسه . وقد داومت على دراسة اثار الكتاب من اليونان والرومان بارشاد لونجينيوس الذي كان علما من اعلام الفلسفة والعلم فى زمنه . .

وكانت زنوبيا تصحب زوجها فى رحلات الصيد التي كانت مولعة بها . وكانت تزدري ركوب عربة مقفلة فكانت تمتطي ظهور الجياد . وكانت تشارك القوم فى معاناة اخطار الصيد . ولما ارتقى (اوديناتس) عرش المملكة قاسمته مجده . ثم شاركته مرتين فى مطاردة امير فارس حتى ابواب مدينة « تيسيفون » . وكانت الجيوش التي يقودانها والاقاليم التي ينجيانها من طغيان الغاصبين لا تؤمن الا بهما وبسطوتهما التي ينكرها المنكرون . .

وهما وان كانا من وجهة السيادة الاسمية عاملين من عمال الامبراطور فان الرباط الذي كان يربطهما به كان رباطا واهيا غير متين . وكانا هما من جميع النواحي العملية الحكام الحقيقيين فى بلاد الشرق . .

وكانت تلك الايام ايام عز وسؤدد لم تر (تدمر) مثلها ابدا فقد كانت تسيطر على الطريق الرئيسي للقوافل التي تجتاز الصحراء السورية وهي فى طريقها الى بلاد فارس والى الهند وما وراءها . .

كانت شوارع (تدمر) تكتظ بالقوافل الآتية من الشرق . وقد كانت عدة القافلة منها تبلغ الفي جمل . وقد لوحت الشمس وجوه حداتها . وضاقت عيونهم من وهج الشمس . وغضنت الرياح وجوههم وشققت جلودهم . وكانت بضاعتهم احمالا من الاقمشة الموصلية الرقيقة ومن التوابل والعاج واللآلىء والاحجار الكريمة التي كانوا يجيئون بها من الهند وكذلك احمالا من الحرير كانوا يجلبونها من الصين

وبالقرب من اسواق المدينة كان يقيم تجار (تدمر) الاغنياء وقد اوتوا من الكنوز ما تكفي لمنح هذه العصبة اولى القوة .

اما المقر الرئيسي لاجتماع اولئك التجار فكان بناء فخما قد اثث فاحسن تاثيثه وكان القوم يجلسون فيه متكئين على الارائك . ومتوسدين وسائد بطائنها من الحرير والدمقس وكان يطوف عليهما ولدان من الرقيق . وكانت زوجاتهم يزين المكان بجمال وجوههن وقد صففن شعورهن وغطينها باغطية لطيفة تتدلى الى اكتافهن . .

وهؤلاء كانوا قسما من رعايا زنوبيا . اما القسم الاخر فكانوا من احلاس الحرب وابطال الصحراء الذين كانوا يشنون الغارات ويعودون بالغنائم والسبايا . .

ثم دار الزمن بالنحس فادلهم الخطب ونزلت الفاجعة فقتل (اوديناتس) بيد ابن أخ له كان قد عاقبه لكلمة نابية ندت منه فى رحلة من رحلات الصيد .

ولقي القاتل جزاء القاتلين وخلفت زنوبيا زوجها على العرش ولكنها لم تكن فى ذلك صاحبة حق موروث ذلك لان ولاية الحكم كانت منحة منحها الامبراطور لزوجها وحده .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظل الامبراطور زمنا لا يرى بأسا فى ان تكون « زنوبيا » والية على البلاد من قبله . .

ولكن هذا الامبراطور قد خلفه اخر هو الامبراطور « اوريليان » وكان من صنف اخر غير صنفه . وكان قد ذهب الى آسيا فاتحا غازيا .

ورات زنوبيا بمشورة الناصحين من رجال ملكها ان تحارب الامبراطور ابقاء على سلطانها . ولما اقترب الامبراطور من مدينة « تدمر » خرجت هي للقائه فى جيش لجب من الضاربين بالقوس ومن جماعات الفرسان وكلهم غارقون فى السلاح . وكان قائد جيشها رجل اسمه « زابداس » اشتهر بفتحه لمصر . .

ودارت المعركة الاولى بالقرب من مدينة انطاكية . وكانت المعركة الثانية بالقرب من مدينة اورفه وكانت زنوبيا على رأس جيوشها فى المعركتين تجمع بين جراة المحاربين وجمال ربات الخدور . .

وامتلأ السهل بالجنود المدججين بالحراب وبالسيوف وقد امتطوا ظهور الجمال . ووصف مؤرخ روماني القتال فقال :

لما راى الامبراطور الروماني ان فرسان جيش « تدمر » يعتمدون كل الاعتماد على اسلحتهم الثقيلة اقام فرق مشاته وسائر الفرق الاخرى على الضفة الاخرى من النهر وامر فرسان جيشه بأن لا يلتحموا من فورهم مع فرسان جيش « تدمر » بل عليهم ان يعرضوا انفسهم لهجماتهم وان يتظاهروا بالفرار . .

ونجحت الحيلة واتت الخدعة اكلها واستنفد فرسان زنوبيا مجهودهم فى مطاردة عدو يتظاهر بالفرار . ولما بلغ بهم الجهد مبلغه ارتد الجنود الرومان المدربون خير تدريب وداسوا عدوهم باقدامهم .

وحدث مثل هذا فى مدينة « انطاكية » وكذلك فى مدينة « اورفه » ورات زنوبيا اخر الامر انها مضطرة الى التحصن داخل اسوار تدمر بينما كان الامبراطور الظافر اوريليان

اذا عادت ..

غدا اذا عدت الى ربعنا
وعاد من عينيك ما اشتهيه
سافرش الدرب زهور الهوى
والدفء ، فالقلب الم تعرفيه ؟
يحلم .. كم يحلم
بالخصب ، بالميسم ..

غدا ، اذا عدت ، وكانت هنا
في غرفتي المتعبة
انغام حبي وليالي الهنا
فلا تقولي : كيف عادت لنا
انغامنا الصاخبة
ستلتقين الضوء في غرفتي
وتلتقين الود في راحتي
ويفرح القرطاس والمكتبة
اما تعودي لنا ..

غدا اذا عدت الى ربعنا
سنمنح الدنيا بذور الصفاء ..

الحلة ـ العراق علي الحسيني

قد اخذ حذره وعمل على ان يجتذب اليه اكثر القبائل ثم سار اليها وقطع سبعين ميلا في قفار الصحراء وحاصر المدينة

وفي نفس الوقت كان مجلس الشيوخ الروماني يسخر منه ويعيره بشنه الحرب على امراة . وقد نال هذا التعيير من كبريائه فارسل الى مجلس الشيوخ بالرد القاسي الذي يقول فيه :

يعيرني الرومانيون باني شننت حربا على امراة كأن تلك المراة تناوئني بقوتها البدنية وحدها وليس بقوة جيش قوي من الاعداء . ولست استطيع ان انبئكم باحصاء دقيق عن عدد الرماح والحراب والمجانق المجهز بها ذلك الجيش جيش تلك المراة .

ويكفي ان اقول لكم ان ليس عندها موضع لقدم في اي حائط من حوائط اسوارها لم تحصن تحصينا قويا ولم تندلع منه النار اندلاعا يدمر الحرث والنسل .

وماذا بعد هذا ؟ اتقولون انها امراة يملأ الخوف قلبها ؟ واني اقول لكم انها امراة تحارب حرب من يخشى مغبة الهزيمة .. اما انا فاني اثق كل الثقة في آلهة الرومان ..

وارسل اوريليان رسالة الى « زنوبيا » يطلب منها التسليم . ولكنها ارسلت اليه ردا فيه من التحقير ما فيه . وقد كانت مدينتها محصنة وفيها من الرجال من يستطيعون الدفاع عنها . وكان الماء ينساق اليها من نهر يجري تحت الارض وينبع من اخدود قد شق في تلال جيرية . وهذا النهر يغذي صهاريج يختزن فيها الماء كوسيلة من وسائل الحيطة والحذر ..

وقد ظلت « زنوبيا » زمنا طويلا تأمل وترجو ان تندلع نيران الثورة بين القبائل المنضمة الى جيش الرومان ولكنها لم تكن ترى الا قطارات من الابل تجيء كل يوم بالمؤن والعتاد الى القوات التي تحاصر مدينتها ..

واستيقنت « زنوبيا » اخر الامر ان الموقف قد اصبح يبعث اليأس فعقدت العزم على ان تضرب ضربة جريئة وذلك بان تحاول الحصول على المعونة من اعدائها القدماء وهم الفرس . وعملت على اختراق صفوف الرومان وولت هاربة الى ناحية نهر الفرات ومعها رجال حرسها وهم يمتطون الابل السريعة . ولكن انباء هربها قد بلغت مسامع الرومان فالقى القبض عليها قبل ان تستطيع عبور النهر .

وقبل (اوريليان) تسليم المدينة التي عاملها اول الامر معاملة كريمة ولكن لما ثار قوم تدمر وقتلوا رجال حامية الحصن الروماني الصغير عاد اليهم وجعل المدينة طعاما للسيف والنار .

وجيء بمستشار « زنوبيا » وهو (لونجينيوس) كما جيء باخوانه الاخرين واعدموا شنقا . واخذت الملكة البائسة وطافوا بها شوارع روما وقد تحلت بجواهرها وقد اثقلوها بالسلاسل والقيود التي صيغت كلها من الذهب

وهناك روايتان عما لقيته « زنوبيا » بعد ذلك من مصير . فرواية تقول انها ماتت في الاسر وهي تحن الى بيتها الصحراوي وتشتاق الى مجدها الزائل وعزها الذاهب . ورواية اخرى تقول انه قد اخلي سبيلها وان اوريليان قد هيأ لها بيتا ريفيا على شاطيء نهر « التيبر » وانها قد تزوجت من مواطن روماني .

وان الاجل قد امتد بها فبلغت ارذل العمر ..

والصور التي بقيت لنا من صور تلك المراة هي التي كانت تبدو على النقود التدمرية ولكنها صور لا تمثلها لنا تمثيلا صادقا ..

ومن الجائز ان تلك المراة كانت تشبه واحدة من سيدات تدمر الظريفات التي تزين صورهن شواهد القبور بالقرب من تلك المدينة المهجورة . وهن الان يتربعن على تلك الشواهد هادئات قانعات راضيات كما كن في حياتهن منذ الفي سنة يوم كن يشاهدن متكئات على الوسائد والحشايا في قصورهن الفخمة على قيد خطوات من طريق الابل التي كانت تجيئهم بخيرات الشرق من حرير وعطر وتوابل ..

القاهرة مبارك ابراهيم

الشاعر الهندي الصوفي « كبير »

بقلم نقولا يوسف



بنارس ، مزار الهندوس المقدس ، والمركز الثقافي العتيد ، حيث اعلن البوذه تعاليمه الاولى عن سبل الحق والخلاص — فى تلك المدينة الجميلة الجاثمة على شاطىء الكنج ، ولد الشاعر الهندي « كبير » عام ١٤٤٠ من ابوين مسلمين ، واشتغل كابيه بالنسيج ، وبحث فى المذاهب والاديان ، ونظم الشعر الصوفي الوجداني والصلوات الرقيقة التي لم يزل يترنم بها الالوف من مواطنيه . . .

وكان « كبير » احدى الثمرات اليانعة لذلك الاقتران المديد العمر ، بين ديانات الهند وثقافاتها ، وبين الاسلام الذي اخذ يغزو القارة الهندية منذ القرن الثامن للميلاد وكان ان دابت بعض العقول الواسعة الافق على التوفيق بين جواهر العقائد المتعددة هناك . . ولم تزل صفحات التاريخ تمجد «اكبر» الذي حكم الهند فيما بين ١٥٥٦—١٦٠٥ لما بذل من جهود فى توحيد الولايات الهندية وشيعها واديانها ، ولو انه لم يوفق كثيرا فى تلك المحاولات . . وترك اثرا كان يقتفيه بعض فى القرن السابع عشر ، ثم فى شعر طاغور فى القرن العشرين .

ولكن الشاعر « كبير » كان سابقا « لاكبر » بنحو قرن من الزمان . . ولعل هذا الملك « اكبر » كان واحدا من اتباع ذلك الشاعر المتصوف النساج . .

وكان «كبير» قد تتلمذ فى شبابه على الزاهد الهندوكي « راما ناندا » الذي يدعو قبله المصلح البراهمي العظيم « راما توجا » بجنوبي الهند فى القرن الثاني عشر ، والمعلم « تشايتانيا » فى البنغال . .

وكانت تلك الدعوات ردا على الشكلية المتطرفة للطقوس التقليدية القديمة ، كما كانت تتخذ من الحب الالهي دينا اعتنقه الكثيرون من المفكرين . . ولم تستطع العقائد المتوارثة ولا الفلسفات المعقدة ان تطغى على دين الحب الصوفي هذا فى بساطته ووضوحه ، لدى اولئك الكثيرين .

وكان «راما ناندا » الذي تتلمذ عليه الشاعر « كبير » معلما ذا ثقافة دينية واسعة . . عاش فى عصر تأثر فيه الفكر الهندي بالشعر الصوفي الذي كان ينظمه كبار الشعراء فى ايران ، لا سيما الشعراء عمر الخيام (القرن ١٢) وسعدي الشيرازي (القرن ١٣) وحافظ الشيرازي (القرن ١٤) وجلال الدين بن الرومي ، وفريد الدين العطار ، وغيرهم . .

ولقد كان من اثر الفتح الاسلامي للهند ان اختلطت الثقافتان الهندية والاسلامية ، وترجم الكثير من المؤلفات المدونة باللغة السنسكريتية الى الفارسية . كما اصبحت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية عند الحكام المغول ، ولغة الثقافة والمثقفين فى تلك العصور . .

وهكذا خرج شعر « كبير » مزيجا من تعاليم الصوفية الاسلامية فى الهند وايران ، ومن اللاهوت البراهمي والمذاهب الهندوكية . .

ولئن كان النقاد يعدون «كبيرا» شاعرا صوفيا قبل كل شيء ، فان اتباعه وتلاميذه فى الهند يعدونه مصلحا دينيا ، ومؤسسا لمذهب لم يزل يتبعه الى اليوم نحو المليون من الهنود الذين يطلقون على مذهبه هذا اسم « كبير بانث » . وكان منهم من ينظم الترانيم والشعر الغنائي الصوفي على طريقة « كبير » . ثم تجتمع اشعارهم فى ديوان واحد . .

واشتهر من اتباع « كبير » هندوكي من لاهور بالبنجاب يدعى «ناناك» (١٤٦٩ — ١٥٣٨) بدأ باعتناق تعاليم «كبير» ، وبعد طواف طويل فى ربوع الهند ، اسس مذهبا جديدا جمع بين الدين والسياسة وبعض الطقوس ، وهو المذهب الذي تعتنقه طائفة « السيخ » وهم اليوم فى نحو ستة ملايين نسمة . وقد اتخذوا لهم كتابا مقدسا باسم «جرانث» به صلوات وحكم وامثال ، قالها «ناناك» وخلفاؤه . . كما انه به ترانيم « كبير » وصحابته ايضا . وهو كتاب غني بالشعر الصوفي الرقيق ، الجامع بين الصوفية الاسلامية والهندوكية

ومع ان «كبير» كان بعيدا عن التزمت والخرافة ، ويعلم الناس ان يكونوا ابناء الله ومحبيه ، وان يحرروا قلوبهم من الخرافات والتعصبات والتقاليد الجامدة . . ويعلمهم ان يقولوا : « ايها الاله — الله او رام — اني اعيش باسمك . . » ويقول لهم : ان اله الهندوس هو اله المسلمين . . فتشوا قلوبكم وهناك سوف تجدون فيها اله الهنديين والمسلمين . واذا كانت المحاريب مسكن الخالق ، فالكون مسكن من ؟ » فقد جاء من اتباع « كبير » بعده ، من راح يمجد ذكره على طريقة اخرى ، اعاد بها ما اراد هدمه من تقاليد . .

ولكن اشعاره وترانيمه البديعة لم تزل الى اليوم حية تعبر عن رؤاه وعشقه الالهي . فهو يخاطب قلوبنا بشعره الرقيق البسيط اكثر مما يخاطبنا بتعاليم دينية . .

وهو يعبر عن الحضرة الربانية ، موقعا على جميع درجات الانفعال الباطني مبتدئا بارفع التجريدات ، وبالوله المتسامي الى اللانهاية ، ثم الى العواطف البشرية الذاتية ، رامزا لها بالكنايات المألوفة والرموز الدينية المأخوذة من عقائد الهنود والمسلمين ، فيقول : (١)

« انى للمرء ان يحطم الحب الذي يربطنا ؟
لانت يا مولاي مثل ورقة اللوتس الراقدة فوق الماء !
وانا اعبدك . . .
وانت يامولاي مثل طائر الليل «شكور» المتأمل القمر ليلا !
وانا اعبدك . .
الحب الذي بيني وبينك ، كائن منذ الابد حتى نهاية الزمن !
فكيف يمكن ان يخبو مثل هذا الحب ؟

(١) « اشعار كبير » نقلها رابندرانات طاغور الى الانجليزية — وترجمتها الى الفرنسية مدام ميرابو تورين — الطبعة العاشرة ١٩٢٢ مع مقدمة لافلين اندرهيل — وتحتوي على مئة قصيدة . .

وكما يندمج النهر فى المحيط ، يتغلغل قلبي فيك ! »

ويرنم بلسانه العابد :

« ان جسمي وروحي حزينان يحتاجان اليك ..
فتعال الى بيتي يا محبوبي !
حينما يدعونني بفتاتك اشعر بالخجل ..
لان قلبي لا يستحوذ على قلبك !
اي حب هذا ؟
ما انا بجائعة ، ولا استطيع النوم ..
ولا اجد الراحة ابدا فى داخل ولا فى خارج !
ان مثل المحبوب للحبيب مثل الماء للعطشان ..
من ذا الذي يحمل رسالتي الى محبوبي ؟
« كبير » فى شجن !.. انه يموت لانه لا يرى محبوبه! »

وينشد : « فيم ضجرك يا قلبي ؟

« كيمَ ضجرك يا قلبي ؟
الا يرعاك أنت ايضا وقد خرجت ؟
من ذا يرعى الطيور والدواب والحشرات ؟
اي قلبي ! انى لك ان تدير وجهك عن ابتسامة الهك ؟
وان تطوف بعيدا عنه ؟
لقد هجرت محبوبك لتفكر فى سواه !
ولهذا كان عملك عقيما ! »

فترى أنه يصعب القول ما اذا كان ناظم هذه الاشعار ، برهميا ام فيديا ام فشنويا .. مسلما ام مسيحيا ، ام هندوكيا .. ولهذا تترنم بها جميع العقائد ، كما تترنم باناشيد اخناتون ، ومزامير داود ، ومناجاة ابن الفارض ، وسعدي وحافظ الشيرازي ، ورابعة العدوية ، ومحي الدين بن عربي ، وزيبا النسا ، وطاغور .. وكلها اشعار «اليركية» صوفية ، صافية ، تناجي الها واحدا محبوبا ، وتحتضن مخلوقاته كافة ..

فالروح الاسمى الذي عرفه «كبير» وعبده .. والذي حاول ان يرشد اليه الاخرين ، كما لو كان يرشدهم الى صديق حبيب ــ هذا الروح يشمل فى الوقت نفسه جميع المقولات الميتافيزيقية ، والعقائد اللاهوتية ، الواحدة في جوهرها وينبوعها ..

ويقول لنا « كبير » انه ابن لله وابن لرام .. وقديما كان آمون ، وآتون ، وزيوس ، وبعل ، وبراهما ، ويهوه ... وغيرها من الاسماء ــ ترمز الى معنى واحد ــ رب واحد ..

« اني لارى جماله فى كل مكان ..
وما الفرق بين النهر وامواجه !
الانها سميت موجة فهي موجة !
او لن تصير ماء بعد قليل ؟! »

وكما جرت العادةمع كل عظيم يتقادم عهده ، فقدتغلغلت الاساطير المتناقضة فى حياة هذا الشاعر .. بعضها هندي المصدر ، والبعض الاخر اسلامي .. فهي تارة تمثل «كبيرا» فى صورة راهب براهمي قديس، واخرى فى صورة ولي من اهل الكرامات ..

ولكن المعروف ان هذا الشاعر كان رجلا عاديا علىجانب محدود من التعليم ، وانه من اسرة مسلمة عاشت بمدينة « بنارس » فى شمال الهند الغربي . وان أباه كان نساجا ، فشب مثله يشتغل بالنسيج ليكسب عيشه ..

ونعلم ايضا انه كان متزوجا ورب اسرة .. يقدر الحياة العائلية ، وقيمة الحياة اليومية ، ويعدها فرصة للتضحية والحب والعمل ... ولهذا كان يحتقر الحياة السلبيةالتي يحياها الزهاد فى التقشف والحرمان والهروب من الجمال والفرح، وسائر المسرات البريئةالتي اسبغها اللهعلى الناس

ووسط تلكالحياة العادية البسيطة ، كان « كبير » ينظم الشعر الغنائي العاطفي فى الحب الالهي ، وفى جمالالخليقة، وفى تقديرالعمل،وفى التسامح والاخاء .. ويشغف بالموسيقا ويوقع اشعاره على آلات الطرب .. ويغني :

« فهناك .. السموات ملأى بالنغم ..
وهناك تعزف الموسيقا بلا اصابع ولا اوتار !.. »

ومن هذا القليل الذي وصل الينا من سيرة « كبير » ، نرى ما يناقض الفكرةالسائدةعن التصوففى الشرق عادة .. فكبير لم يعش حياة الزاهد المنعزل كي يتفرغ لحياة التامل المطلق ، ولم يعمد الى تعذيب جسده على طريقة نساك الهند خاصة ، بل مارس حياة عائلية نقية مكافحة ، وكان يعول نفسه واسرته من صنع النسيج والعمل المضني ، لا من التسول او التواكل .. مكرسا حياته فى الوقت نفسه لخدمة الناس وتعليمهم ومحو التعصبات والخرافات من اذهانهم ...

وفى ذلك القرن ــ الخامس عشر ــ الذي عاش فيه «كبير» ، كانت اتجاهات الوحدةفى المذهب الهنديالبهاكتي، فى نمو وازدهار .. وكان المتصوفة من شتى المذاهب يتناقشون ، بينما راح الكثيرون يتتلمذون لراما ناندا،وكانت شهرته قد ذاعت يومذاك . ورأى «كبير» فى راما ناندا معلما عظيما ، ولكنه خشي ــ وهو المفكر المسلم ــ ان يلقى صعوبة فى التتلمذ على معلم هندوكي ..

ويقص الرواة ان «كبيرا» كان يختبىء فى مكان على ضفة الكنج ، حيث اعتاد راما ناندا ان يذهب للوضوءوالاستحمام فى النهر على طريقة الهندوس .. وكان فى كل مرة يتعمد لقاء المعلم وجها لوجه .. وفى ذات مرة صاح راما ناندا دهشة : « رام .. رام ! » ــ وهو الاسم الذي يعبد به الله متجسدا .. واعتقد « كبير » ساعتذاك ان طقس التعميد سرى عليه من فم المعلم ، وبذلك صار من اتباعه !..

وعلى الرغم من احتجاج السنيين منالبراهمة والمسلمين على السواء ، فقد لازم « كبير » استاذه الهندكي ، ووضع بذلك عمليا ، المبدا الذي يقول به معلمه نظريا ، عن ضرورة الاخاء بين مختلف العقائد ، وعدم التفريق بين اهل الملل..

وهكذا رحب راما ناندا بتلميذه «كبير» وساوى بينه وبين سائر المريدين ..

ومع ان هناك روايات تقول ان « كبيرا » تتلمذ ايضاعلى

اخرين من مشاهير المتصوفة فى عصره مثل : بير ، وتاكي ، وغانزي .. فالمشهور عنه انه لم يعرف غير معلم واحد هو راما ناندا ...

وفى مدينة مثل بنارس ، حيث كان يعيش الشاعر ، ومن حوله سلطان الكهنة وطقوس الاديان ، كان من الطبيعي ان يلقي بعض الاضطهاد .. بل لقد كان هناك من الهندوكيين والمسلمين من يعده من الوجهة التقليدية ملحدا بل خطرا.. فهو لم يخف استهجانه لبعض الطقوس والتقاليد ، والقشور غير الجوهرية فى الدين .. وكان هناك من لم يفهمه ، حتى وهو يرى فى بساطة ان فى الاتحاد مع الحقيقة الالهية واجبا وفرحا للنفس . وان الاله الذي يدعو الى عبادته وحبه لا يحده مكان ولا هيكل ولا مدينة .. لانه اقرب لمن يبحث عنه مما يظن ..

وينشد « كبير » : « اين تبحث عني يا عبدي ؟
انظر كم انا قريب منك !..
لست فى معبد ولا فى مسجد ولا فى محراب ..
ولا فى هيكل من هياكل آلهة الهندوس ..
ولا انا فى الشعائر والطقوس ..
ولا فى الزهد والتقشف
فان تبحث عني حقا ، تجدني على الفور ..
واكون فى اللحظة التي تكتشفني فيها .. »
ويقـول :
« ايهـا القديس !
ان الله فى النسمة التي تتنفسها ! »
ومع آلة الطرب يغني :
« ارقص يا قلبي .. ارقص اليوم فرحا !
اغاني الحب تملأ الايام والليالي بالموسيقا ..
والدنيا تصغي الى الحانها ..
الحياة والموت يرقصان فى جنون الفرح !
وعلى نغم هذه الموسيقا ..
ترقص الجبال والمحيط والارض .. !
ووسط ضجيج المرح والرنين ترقص البشرية ..
فلماذا تلبس ثوب الناسك ؟
وتعيش خارج العالم فى كبرياء الوحدة ؟
انظر ! ان قلبي يرقص فى فرح المعرفة ..
والخالق سعيد بذلك ! »

واخيرا استطاع اعداؤه المتربصون ان يوقعوا به ....
ويحكى ان بعض البراهمة ارسلوا اليه غادة حسناء ليختبروا مدى فضيلته وعفته . ولكنه احبها حبا نقيا ، وجعل منها امراة طاهرة على نحو يقرب من قصة مريم المجدلية ... فانتظروا حتى رأوه يعالج مريضا فرموه بالسحر والشعوذة. ودعاه اليه الملك «سيكندار لودي» ، ووجه اليه تلك التهمة، واكتفى بنفيه من بنارس !

حدث ذلك حوالي عام ١٤٩٥ حين خرج «كبير» من بلدته منفيا فطاف بعدة مدن فى شمالي الهند ، وتتلمذ عليه الكثيرون ..

وفى عام ١٥١٨ – وقد امسى شيخا مريضا فى الثامنة والسبعين – لا تقوى يداه على العزف ، مات فى «مغار» بالقرب من جوارجنور ..

ويختتم مريدوه قصة حياته باسطورة لطيفة تقول انه عقب موته ، تنازع تلاميذه من المسلمين والهندويين على جثمانه .. فاراد الاولون دفنه والاخرون حرقه .. كل على طريقته .. وفيما هم يتنازعون ، ظهر لهم « كبير » وقال : « خذوا هذا الكفن ، وانظروا ما يحتويه . ولما فعلوا وجدوا مكان الجثة طاقة من الزهر ، فاقتسموها ، ودفن المسلمون نصفها ، واخذ الهنديون النصف الثاني ليحرقوه فى بنارس !! »

ومضى نحو خمسة قرون على دعوة «كبير» للمحبة والاخاء بين اهل وطنه الذين تقسمتهم عشرات المذاهب والاديان ، واللغات والالوان .. ثم ظهر بالهند فى عصرنا هذا شاعر عظيم اخر ، يدعو مثله الى المحبة والوئام – هو رابندرانات طاغور – ونقل الى الانجليزية مائة قصيدة مختارة من اشعار «كبير» ، ما لبثت ان ترجمت الى الفرنسية والى غيرها من اللغات .. فانتشرت فى العالم اناشيد شاعر المحبة المسلم على يد اخيه شاعر المحبة الهندوكي ..

« الرب في والرب فيك . كما ان الحياة فى كل بذرة !
فيا عبد ، دع كل كبرياء كاذبة ، وابحث فى داخلك عن ربك.
مليون من الشموس تشع ضوءا ..
ومحيط من الزرقة يمتد فى السماء ..
حمى الحياة تهدأ ، وقد غسلت كل خطاياي ..
حين اسكن بين احضان العالم ..
اصغ الى نواقيس الابدية وطبولها .. وانعم بالمحبة ..
المطر يسقط بلا ماء ، والانهار سيول من النور ..
المحبة فقط تستطيع ان تتغلغل فى العالم ..
وقليل عديدهم من يعرفون هذه الاشياء ..
عميان من يرغبون فى رؤيتها فى ضوء الادراك » ..
هذا العقل الذي هو اس الانفصال ..
فى صرح العقل ابتعاد كبير ..
ياكم منح «كبير» من قدرة ، فى احضان الفرح اللانهائي، على ان ينشد فى نفسه اغنية لقاء الروح مع «الروح» ..
اغنية نسيان المتاعب ..
الاغنية التي تفوق كل ما يتغلغل فينا – وكل مايصدر عنا»
« اني لاضحك حين اسمع من يقول ان السمك فى الماء عطشـان !
انك لا ترى ان « الحق » فى بيتك ..
وتدور متهاونا من غابة الى غابة .. والحقيقة لديك
اذهب حيث شئت – الى « بنارس » او الى «ماثوره»–
فاذا لم تجد نفسك كان العالم كله لا حقيقة له .. » .

الاسكندرية **نقولا يوسف**

اغنيـة لاصـدقـائي

« مهداة الى وليد زيدان .. الذي تطل من عينيه اجمل القصائد »

يـا اصدقـاء ـ
احبكم .. احب فيكـم رقة اللقاء
احب فيكم طيبة تطفر بالصفاء
يـا اصدقـاء
عيونكـم .. واحـات ظـل ..
يرتاح فيها متعب السفر
ويشرب الهـدوء من قرارها القمر
عيونكم تقول لي : تعـال
اغـرق هنـا فى منجـم اللآل ..
والـق غبـار السـير .. فى دروبنـا ظـلال
وقمـر مفرد .. وطـائر وزهـرة ..
وضحكـات عذبة تملأ كل سهرة
وفرحـة تختـال فوق كل ثغر
اكفكم تشير لـي : تعـال .

وجـوه اصدقـائي
ثريـة .. يـا للضياء يغمر الـدروب
ان ضحكت تقشعت عن افقي غيوم
وامطـرت غيـوم
وخيـم الصحـو عـلى مزارع النجوم
صادقـة هي الوجـوه فى عطائهـا العميم
طيبـة .. تكـاد فى ابتسامهـا العميق
تنسيني الهموم ..
تمنعني مـن الغرق ..
فى سـأم الفراغ .. والقلـق ..
تحـول دون وحـدتي ..
وصحبتي الملـول ..
للحبر والـورق ..

يـا اصدقـاء ..
قطعت مظلم البحـار .. ثـم عدت
والـف ذكرى فى دمـي تعود ..
حملت مـا اسطعت لكـم
مـن نـادر اللآلـي ..
حملت كـل غـالي ..
وجئتكـم يـداي مثقـلات ..
بحفنـة صغيرة مـن اغنيـات ..
وهل يطيق الشاعر الحزين غير ان يصوغ اغنيات
دافئـة هي القـلوب ان اتت مـن بيدر القلوب
رائعـة قصائـد الوفـاء والاخاء ..
يـا اصدقـاء ..
من يوم ما تعثرت عـلى الشفاه ـ ملامح النغم
وقلت للريـح استمـع اسطورة الالم ..
من يومها .. ولحني الوجيع ..
يضيـع ..
لغيركـم ما انفلتت مقـاطع الوفـاء ..
لانكم حكايتي مـع دفقة الوفاء ..
فانتم طفولتي الحزينـة الضفاف .
وانتم حـاضر عمري اليـائس الحزين .
وزادي المـر عـلى السنين ..
لانكم يـا اصدقاء ..
تستوعبون المي الممزق الانين ..
انشدكم قصائـدا
نهـرا مـن الحنيـن ..

عيـون اصدقـائي ..
معـابر للضوء .. للنجوم .. للضياء
منـاهل للدفء والعطـاء
تلـوح لـي مرافئـا امينـه ..
اغرق بهـا يـا قلبي الوجيـع ..
ففي الضفاف موعـد يضـوع ..
فيـا شراع الحب طر بنـا ..
الى موانى النور والرجاء ..
الى عيون اصدقائي .

اربد ـ الاردن — احمد حسن ابو عرقوب

النبعة الاخلاقية والذكاء في الادب الانكليزي

بقلم جون ارسكن

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

●

اذا سأل رجل حكيم ما هي الفضائل الحديثة ؟ واجاب عن سؤاله بموجز مما نعجب به ، متجاوزا عن المثل التقليدية التي نعترف بها كالتواضع والوداعة ورفض طيبات العالم ، واذا ما اقتصر على ما تهواه قلوبنا ويسير على هداه سلوكنا، فما هي هذه الفضائل ؟

ليس هذا السؤال اصيلا ولا جديدا . وعصرنا هذا يتطلب تقدير مقوماتنا الروحية وهذا ما اقترحه هنا . واذا ما كنا نملك حكمة فحكمتنا ان بعضا منا متطلع لمعرفة فضائلنا . وهنا لي رغبة ان اقدم نفسي على اعتباري رجلا حكيما قادرا على الاجابة . واذا ما جاءنا الرجل الحكيم بقائمة مما نعجب به من مثل اصيلة فهل يكون الذكاء منها ؟ وقبل ان نقر بان الذكاء فضيلة ، هل نحن مقتنعون بذلك ام نحن نحسب الذكاء خطرا ؟

ان الميل لعد الذكاء خطرا لتراث انكلوسكسوني معروف . وقد عرف اسلافنا هذا الميل نثرا وشعرا . وعلى ما في ادبنا من بهاء فهو لم يعبر عن مطامح الانسانية كلها . وما كان من المتوقع ان يعبر عن مطمح لا صلة مميزة له بالجنس الانكليزي ، واعني بذلك مدح الذكاء باعتباره مجدا من امجاد هذا الجنس .

« كوني صالحة ايتها العذراء ، وانبذي من يريد ان يكون ذكيا » وهذا هو البديل المذهل الذي هو بالنسبة الى الانكليز بين الامم العظيمة ، بديل طبيعي لا غبار عليه . وهنا ينبعث الافتراض العرضي الذي يوجب الخيار بين الصلاح والذكاء ، فيصبح الغباء اقرب ما يكون الى السلوك الخلقي الحسن ، والذكاء اول خطوة الى الشر ، وتغدو الالهة والعقل على طرفي نقيض . اما الذهن والقلب فما هما سوى دلوين فى بئر الحقيقة ، دلوين غير متعادلين ، كلما امتلأ الذهن خف القلب ، وكلما امتلأ القلب خف الراس

ان البيت الذي اوردناه لكنغزلي نص ملائم ، ولكننا من اجل ان نثبت ان الادب الانكليزي يعبر عن مقت تقليدي للذهن ، لا بد من العودة الى الاساتذة (الكبار) . ففي مسرحيات شكسبير هناك الكثير من الناس الاذكياء ارفع ذكاء ، ولكنهم اما اشرار ارذال او ضحايا مآس . ولكي تكون ذكيا كريتشارد او ياغو او ادموند لا بد من الانفصال بعض الشيء عن الطيبة والصلاح ، ولكي تكون حكيما كبروسبير ولا بد لك من تجارة كتجارة فاوست مع العالم المحذور الاتصال به ، ولكي تكون كثير التفكير كهاملت ينبغي لك ان تحيا حياة كلها انشغال وتفكير . اما جوائز الحياة، عند شكسبير ، فمآلها الى اناس من اضراب باسانيو او دوق اورسينو او فلوريزل ، اناس ذوي سلوك طيب ، واخلاق سليمة ، دون ان يمتازوا بخصيصة من خصائص الذكاء . ومع ذلك يبدو لهذا القرار الجارف شذوذ عام يتمثل فى : ان شكسبير يعزو الذكاء كموهبة الى بعض بطلاته . وباختبار يسير نجد هذه السيدات كبورشيا لين مستوردات شكسبير . اما ذكاؤهن فهو جملة وتفصيلا من سدى ولحمة القصة المستوردة . اما السيدات من اضراب فيولا ، فهن نماذج انكليزية للتواضع والصبر والولاء ، النماذج التي نجدها فى القصص الشعرية القديمة مع شيء من التلطيف والحذق اللغوي الاجنبي . ومع ذلك فهذه البطلات قليلات العدد ، اذا ما قسناهن باوفيليا وجولييت وديديمونا وهيرو وكورديليا وميراندا وبيرديتا المحبوبات لكل صفة عدا الذكاء ، واذا ما قسناهن ايضا بمجموعة شريرة اخرى تتمثل فى الليدي ماكبث وكليوباترا وغونيريل الذكيات الخبيثات .

ثم نأتي الى ملتن فى (الفردوس المفقود) فنراه يعزو الذكاء من الدرجة الاولى الى الشيطان . ولكي نعلم أن هذه دراسة انكليزية للشخصية الجهنمية يمكن الاشارة الى كتاب (النبي ايوب) حيث نرى الشيطان مجرد كيان مزعج، وحكمة القصة العظيمة لا تنبعث الا من صوت الله فى الدوامة. بيد ان ملتن يجعل شيطانه مخلوقا كثير التفكير والتأمل ، واسع الشهامة محبا للحرية مثابرا فى عمله ، على خلاف الاله غير المنطقي ، العنيف المضطهد ، قاسي القلب ، حتى ان الكثير من القراء الملتزمين باكمل الاخلاق يخشون ان يكون ملتن شانه شأن القاصين الحديثين ، قد عرف الخير والشر ولكنه لم يستطع التمييز بينهما .

ومما يحير الخاطر ويبلبله ان يضطر ملاك الرب الى

تحذير آدم لئلا يطوف في الارض ويبحث عن الاسباب والنتائج ، على حين يلح الشيطان بالتساؤل والبحث والاكتشاف . واذا اخذنا تقدير ملتن للذكاء بنظر الاعتبار جاز لنا ان نعد كلا من العالم واللاهوتي من اتباع الشيطان.

ولولا قصر الوقت لتتبعنا هذا التثمين للذكاء من طريق القصة الانكليزية . ومع ذلك ، ينبغي ان نرى كيف يفرق الكتاب بين الذكاء والصلاح ، فعند فيلدنغ او سكوت ، تاكيري او دكنز يبدو لنا بطل القصة الانكليزية رجلا مخلصا ديدنه ارتكاب الاخطاء ، ولكنه ، في اخر فصل ، ينقذ بنعمة الله ، بعد ان يكون قد اربك حياته اشد الارباك . اما المراة العزيزة التي يتزوجها البطل فهي ، الا في احوال شاذة قليلة ، اقل منه ذكاء . وحين يتزوج دافيد كوبرفيلد اغنز، لا تبدو آفاق السعادة بهيجة . . ان اغنز هي اكثر حكمة من (دورا) ولكننا لا نعجب بها بسبب من هذه الميزة بل للصفات العظيمة التي عرف بها قلبها ، كالصبر والتواضع والاخلاص . وهذه هي ايضا صفات بطلات تاكيري الصالحات كلورا او الليدي كاسلوود. اما بياتركس ازموند وبيكي شارب فحظهما حظ عاثر على الرغم من ذكائهما .

وما له اهميته غير القليلة ايضا العاطفة التي يمحضها القاص الانكليزي لابطاله الثانويين كالسيد بوفن في قصة (صديقنا المقابل) او هاري فوكر في قصة (بينديننيز) . ان هذه الشخوص تؤنسنا ونحن نشعر بتفوقنا عليها ، ولكننا نتفق مع القاص بالاعجاب بهؤلاء حينما يتخذون مراكزهم في القصة . ومع ذلك ، فاذا كان احد الفرنسيين ولنقل بلزاك هو الذي يعرض علينا مثل هذه النماذج ، لجعلنا نشعر كما في (الاب غوريو) او (اوجيني غرانده) بالاعجاب بالطبيعة الهادئة الموالية حسب ، بل لادركنا الرحمة على هذه الطبية المصفدة باغلال الغباء والابتذال . الاستمرار على هذه الطريقة براحة بال . فماذا كان يمكن وهذه المقارنة العنصرية تساعدنا لفهم انفسنا. وباستطاعتنا ان يفكر سقراط بالسيد بكوك او (مختار ويكفيلد) او (دافيد كوبرفيلد) او (ارثر بيندينيز) ؟ . .

انا لست بحاجة الى الاعتراف بان هذا التقرير عن الادب الانكليزي غير واف . ودعني اسارع الى القول : انني اعرف ان القارىء سينكر هذه المعالجة الارتجالية نوعا ما ، المعالجة التي تمس الكتاب النبلاء الذين يحبهم . ولعله سيدهش كيف يمكنني زيادة حبه للادب بهذه الملاحظات المنكرة غير العاطفية . اما انا فلست اعني الان بحبنا للادب ، بل استخدم هذه الملاحظات كاداة لاثارة مشاعرنا . ذلك باننا اذا كنا نحب شكسبير وملتن وسكوت وديكنز وتاكيري ، من غير ان نعرف ما في كتبهم من ميزات تجتذب اعجابنا ، فان اعجابنا سيكون بعيدا عن التمييز . واذا كنا لا نملك التمييز ولا نثار بفقداننا له فعندئذ يحق للحكيم الا يعد الذكاء بين فضائلنا . ومن المؤكد انه من السخف ان نحسب الادب الانكليزي مفتقرا الى خزائن الذهن البشري ، ولكنه — مع ذلك — يحجز لهذه الخزائن منطقة صغيرة من جنباته . انني ادرك اقتصاري على جانب واحد من الادب . وقد يمكن ان اكون قد بالغت نزولا عند ارادة الجدل . وايا ما كان الامر ، فتاريخنا يفضح الحرب المستعرة بين الاخلاق والذكاء ، الحرب التي لا يمكن ان تدرك لدى اليونانيين . ان الرجل الانكليزي العظيم شأنه شأن معظم مشاهير اليونانيين يملك ذكاء واخلاقا في الوقت نفسه . ولكن الرجل اليوناني الشهير يبدو نموذجا للجنس اليوناني على حين يبدو الرجل الانكليزي المعروف شاذا بالقياس الى شعبه ، وكثيرا ما يقدر في بلاد اخرى . ومما يجدر ذكره انه بالرغم من الانسجام السعيد — في نفسه — بين الاخلاق والذكاء . فهو غالبا ما يعجز عن ادراك قيمة ذلك الانسجام لدى جيرانه . وعندما رسم شكسبير صور ساسة هواة كالدوق في مسرحية Measure for Measure كان بيرلي يقود الامبراطورية البريطانية ، في عهد اليزابيث، وما اسرع ما اصبح فرنسيس باكون مستشارا للملك جيمس .وكان ملتن الصغير هو الذي رسم حياة العقل في قصيدتيه (المتأمل) و (المسرور) واعظم ثمرة فلسفية في قصيدته Comus ولما كتب ملحمته ربما كان هو اعظم مآثر انكلترا في البحث العقلي والاستقلال الفكري تلك المآثر التي قلل من شأنها في قصيدته العظيمة . يتبقى لنا مع هذا بعض الشخصيات المعروفة في تاريخنا الادبي ممن يملكون الذكاء ويؤمنون بجدواه. ومن هؤلاء سبنسر — قبل عهد شكسبير وبيرون وشيلي قبل عهدنا . الا ان انكلترا نبذت الثلاثة كلهم ، مع انهم محسوبون من افضالها على العالم . قد يكون ثمة عذر لنبذ بيرون وشيلي من قبل امة تحرص على اللياقة واصولها ، ولكن سبنسر اللطيف وانبل فيلسوف وارقى انسان في ادبنا لا يقرأ لانه يطالبنا بأن نستخدم الذهن والقلب معا للوصول الى الاهداف السامية .

وهذا القدر من الحظ من شأن الادب الانكليزي واف وكاف وهو كذلك لانه ليس من شعب ولا ادب يمكن اعتباره عظيما ما لم يستند الى الذكاء . صحيح ان انكلترا لم تنجب ساسة وعلماء من الطراز الاول حسب ، بل انجبت شعراء تناغمت ارواحهم مع الذكاء الرفيع ايضا . هذا شيء واضح ولكنني اسألكم ان تعيدوا قراءة التاريخ والروايات لتعرفوا مدى تقدير جنسنا للذكاء . ولم اعرض هذه المظاهر المناهضة للذكاء الا لاجعل منها تعليقا لسؤالي — كل ذلك بغية وضع السؤال موضعا يقتضيكم التفكير في الذكاء ومقدار اهتمامكم به . وهؤلاء الذين يفضلون الاخلاق على الذكاء ليسوا الاوائل — في هذا الشأن — اذ سبقهم الى ذلك سابقون . واذا نظرنا الى ما تحت تأريخ الشعب الانكليزي وتحت النظريات والافكار التي يعبر عنها ادبنا ، فسنجد في طبيعة اسلافنا القدامى نوعا من الانحراف الذي لا يزال يحدد اخلاقنا ويحملنا على التحامل على العقل . ان بداية وجود ضميرنا يمكن تحديدها جغرافيا .

فضميرنا انبعث في غابات المانيا وقد والى اول ما والى الارادة تاركا العقل (الذكاء) جانبا . وسواء اكانت صعوبة الحياة في مناخ قاس هي التي رفعت من شان المواظبة على العمل ام لا فالالمان الذين عرفهم تاسيتوس : والسكسون كما عرفوا حين نزلوا انكلترا جعلوا فضيلتهم الاولى قوة الارادة التي تخلق الاخلاق . اما الدهاء والمناورة فلم يكونا نافعين لهم ، انهم قد كانوا جنسا قويا يحب القتال ويفضل حل مشاكله بيديه .

وهذا الاعجاب بالقوة الوحشية كان ملازما للمثل الاعلى، مثل الاعتماد على النفس الذي نال ضربا من ضروب التأييد الاخلاقي . كان الرجل يعد صالحا بقدر التزامه بكلمته ، وكان يساند كلمته بضربة . ومما يقوله تاسيتوس : ان الالماني اذا ما التزم بعمل خاص او عام او اتفاقية ، جعل السيف رفيق يده .. ولما يصبح هذا التوكيد على الارادة توكيدا اجتماعيا، يغدو الاتجاه الى المشاعر الاخلاقية واضحا. أما الشرف فيكمن في استقامة الانسان ونزاهته وفي قدرته ورغبته للمحافظة على كلمته ، وعلى ذلك يصبح الانسان اعظم قيمة من عمله وكلمته . وعلى ذلك فالاقوال والاعمال كان يمكن تفسيرها بسهولة ، لا على اساس الحق المطلق او الشر المطلق بل على اساس مكانة الانسان الذي يقف وراء هذه الاقوال والاعمال . اذ كانت اعمال الرجل الشرير شريرة ، واعمال الرجل الصالح صالحة ، ثم جاء (فيلدنغ) فكتب (توم جونس) ليرينا كيف ان الانسان الصالح قد ياتي بالموبقات احيانا ، بصورة شعورية او لا شعورية . وقد يقوم انسان طالح بعمل صالح احيانا اخرى ، عن قصد او غير قصد . ومن حقيقة كون (توم جونس) قصة محصوبة — الى الان — قصة خبيثة خشنة ، يمكن أن نقدر موقف فيلدنغ فنقول : انه لم يستطع تبديل دين قرائه . صحيح انه حدث بعض التقدم فنحن لا نصر على الجراح ان يكون قديسا حين يقوم بعملية من العمليات . ولكننا كجنس بشري ، لا نزال بعيدين عن ادراك : ان عملا ما يمكن ان يدعى عملا صالحا اذ ما هو انتهى نهاية خير ، وعلى المخلوق الذكي تبعة اخلاقية للبحث قدر الاستطاعة عما اذا كان عمل ما يؤدي الى هدف صالح او طالح ، وكل نظام يستثنيه من تلك التبعة نظام شرير . فاذا اعطيتكم سما وقصدي ان اعطيكم طعاما سالما من كل غش ، فانا لم اعمل عملا صالحا ، وهذا اقل ما يقال ، الا اذا تركت جانبا كل ادعاء بالذكاء ، وعندئذ لا بد لي أن اشعر ببعض المسئولية لانني لم افرق بين السم والطعام . وعلى ما في هذه القضية من بداهة ، ارى ان نداء ماتيو ارنولد للثقافة اشد بداهة منها .

يقول : ان غرض الثقافة هو « سيادة العقل وارادة الله » . وهذا مثل انكليزي ، اما الفرنسيون فيقولون : ان غرض الثقافة هو « جعل الانسان الذكي اكثر ذكاء » . . ان ارنولد لم يعلمنا الشيء الكثير وكل ما فعله هو ارباكه لنا وقتيا . وجنسنا نفسه كثيرا ما كان يرتبك اذا ما صادفه الذكاء في منعرج من منعرجات التاريخ .

لقد تحدثت عن تراثنا الاجتماعي كأنه تراث انكليزي محض ، حتى ان اسلافنا الذين لم يغادروا بريطانيا العظمى قط كانوا ورثة مدنيات مختلفة كالرومانية والفرنسية والايطالية واليونانية ، .. ولكن الحال مغايرة بالنسبة الى امريكا اذ تبدو انكلترا في تدن مستمر كمصدر للثقافة والدين والتعليم . اما ارضنا فهي تهضم جميع الاجناس. واذا كان بعضنا لا يخطىء كثيرا فذلك يعود لاختلاطنا بالقادمين الجدد الذين يقضون تدريجا على ما ورثناه من مقت للعقل ونقد للذكاء وابتعاد عن كل ما يقاربهما ، هذه الطبائع التي هي من جبلة العرق الانكلوسكسوني وبدلا منها نرى انفسنا مدفوعين الى اعتناق محبة المعرفة (اليونانية الاصل) التي تؤكد ان الخطيئة والبؤس هما حصيلة الجهل وأن المعرفة هي كمال الفضيلة .

صحيح ان بريطانيا حطمت الارمادا (الاسبانية) ونابليون باسلحتها الخاصة وارادتها في النصر . ولكن لا تحل كل المشاكل بالاستناد الى قوة الارادة فبعضها يحتاج الى الالمعية والذكاء ، فقد لا يأتي العدو جهرة وعلى رؤوس الاشهاد بل غفلة وفي الليل الدامس كانه رمح طائر ! ولذلك ينبغي الاعتماد على الاسلحة القديمة ، في الظروف الحديثة، كما نفعل نحن الاميركيين شأننا في ذلك شان الانكليز ، ان الظروف الراهنة تحتاج منا مواجهة المشاكل لا التهرب منها . . . ونحن كما يقول الفيلسوف نلعن العقبات،العقبات التي تصادفنا في الحياة كأنها شياطين مردة ، في حين انها ليست كذلك فهي عقبات حسب . .

اننا نعتقد ان العقل قد دخل في حرم الدين نفسه واصبح فيه سيدا . ومنذ البداية عمل العقل على التقليل من الخوف والاستزادة من الفرص (المتكافئة) وبهذه الواسطة اخذ على يد القس او رجل الدين وسلب منه سر من اسراره. وعلى ذلك فليس من العجيب أن يقاس خاو غرض حراس جميع الهياكل بنوع الترحيب الذي واجهوا به العقل . . ومما شاهدناه في تاريخنا حلول الاديان محل بعضها بالتعاقب، وتسامي سيطرة العقل والحكمة وانحسار الخرافات ومخلفات العهود البائدة ، حتى جاءت الداروينية فهزت اسس الكيانات النخرة ، فدهش من دهش وانهزم من اراد المقاومة ، وكان النصر للعقل الذي احتل مكانته اللائقة ، ومن هنا ازداد محبو العقل وتضاءل عباد الخرافة ، ومع ذلك فعلى محبي العقل ان يكونوا متأنين مع من لا يسري مسراهم ويرى رأيهم ويتأثر بعواطفهم فقد يجرح الذهن القلب احيانا . ومن الخطأ الاعتقاد بوجود عواطف مشتركة تجمع الناس ، مختلف الناس ، على صعيد واحد . وقد ثبتت تاريخيا ان لم يكن فرديا مقولة افلاطون : ان الجهالة هي الخطيئة والمعرفة والفضيلة وحدة واحدة لا تتجزأ .

يوسف عبد المسيح ثروة — **اربيل — العراق**

انه شيء فظيع هدمتها القوى ، وفت في عضدها ، واحال النور في عينيها ظلاما .. مجرد التفكير فيه يرهقها ويرمضها . وحجبت عينيها بيديها لتتفادى المنظر البشع الذي واثبها .. بيد انه كان اقوى منها ، فآدها ، وهدها ، وذهبت الى بيتها دون ان تنبس بكلمة لصديقتها زينب التي نقلت اليها هذا الخبر غبعودتها من دمشق . يا ليتها لم تذهب اليها ، وتهنئها بسلامة الوصول ، لكانت على الاقل تفادت سماع هذا الخبر الذي سعر النار بين ضلوعها . ما معنى حياتها بعد الان ؟ اهكذا الرجال دائما يتلمسون الخيانة لاقل بادرة .. ومع من ؟.. ما اقسى هذا المنظر .. هو وزوج ابيها الشابة يتمرغان في الاثم وانت جوارح عائدة ، وتضاغت المـا ودخلت بيتها ، وهي تبكي بحرقة .

وتراءى لها هذا البيت الصغير الانيق الذي كان مثوى احلامها الوردية سدفة فاحمة .. وتمنت لو ان النار اجتاحته ، واتت على كل شيء حتى لا يبقى منه اثر .. يذكرها بالزوج الذي مكر بها ومزق كرامتها. ان موته لا يكفر عن خطيئته التي مرغها بها ، وموتها بالذات لا يجدي شيئا . اين كلامه المعسول، وعواطفه الدافقة ، وغرامه المجنح ؟. كل هذا تلاشى امام اول امراة بدت في حياته، فداس كل هذه المقدسات لينقاد الى الهوى الداعر . صحيح ان الرجل حيوان لا يبغي سوى فريسة يلغ في دمها . وماذا تفعل ؟ هل تقتل نفسها لترتاح من هذه الاوصاب الناخرة ام تطلب الطلاق ؟

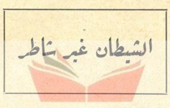
وزحمتها الهواجس تأخذ بعضها برقاب بعض ، وفي كل منها تنبض صورة ربداء فيها اليأس البليغ ، والشقوة الجائحة .. واخرجها من تاملاتها الحزينة ، صوت واهن ينادها: عائدة .. عائدة .

وارادت ان تصم اذنيها عن هذا النداء . لماذا تفني نفسها بتمريض ام هذا الخائن الذي هصر كل امانيها ؟

ولكن النداء تكرر ، وتثاقلت في مشيتها ، وولجت غرفة حماتها المريضة التي رفعت اليها عينين ثوى فيهما الالم من جراء المرض القاسي الذي تعانيه منذ امد طويل . وتمتمت: اين انت يا عائدة ؟

واحست عائدة بموجة جارفة من الحقد على هذه المراة التي جاءت بزوجها الى الوجود ، وتمنت لو كان في مكنتها ان تنشب اظافرها في عنقها، وتزهق روحها الخبيثة التي اتت بهذا الحيوان الذي كان من نصيبها ان تتزوجه ، ثم تبلغ به القحة ان يمزق كرامتها بهذه الخيانة المريعة التي تمجها النفس .

واستوت حماتها في سريرها،ورنت



بقلم الدكتور محمد حاج حسين

اليها طويلا ، وغمغمت : عائدة . اراك حزينة .. ما السبب ؟

وحدجتها بنظرة قاسية، واشاحت بطرفها عنها ..

وقالت الحماة : عائدة .. ما بك ؟

ولما لم تتلق جوابا تجلى على وجهها الالم واستتلت : ارجوك ان تردي علي

واستطاعت عائدة ان تقول بصوت واه ممزق : لا شيء .

ـ لا تكتمي عني يا بنتي .

ـ لا يوجد شيء لاكتمه عنك .

ـ انك على غير عادتك .. اين مرحك ؟

ـ لا ازال مرحة بحمد الله .

ـ الحزن مطبوع على محياك ..



أتوسل اليك ان تخبريني بما يحزنك

وظلت جامدة كالتمثال ، معتصمة بالسكوت ، وقد انعقدت الحسرة في عينيها ، وازاء الحاح حماتها المتواصل استطاعت ان تقول : انـي مسافرة غدا الى دمشق .

ـ رافقتك السلامة . وارجو ان تقبلي ابراهيم عني .

وجرت سحابة من الاسى على وجه عائدة ، ولحظتها الحماة الذكية فقالت فورا : ارى انك غاضبة على ابراهيم .

ـ ساطلب الطلاق .

وارتاعت الحماة ، وصاحت : ماذا تقولين ؟

ـ ساطلب الطلاق .

ـ هل جننت ؟

ـ انني في كامل عقلي .

ـ وحبكما العظيم الذي كان مضرب المثل .

ـ الى الجحيم هذا الحب .

ـ عائدة .. انت ولا شك تمزحين

ـ ابدا . انها الحقيقة .

ـ وما السبب ؟

وبكل بساطة قالت عائدة بلهجة مريرة : لانه خانني .

ورجفت الام ، وتطلعت اليها بذهول ، وقالت : مستحيل . ان ابراهيم يعبدك بعد الله ..

ـ لقد كف عن عبادتي .

ـ ثم تربيته العالية تمنعه عن هذا

ـ انك تقولين هذا لانك امه .

ـ أؤكد لك انها الحقيقة .

ـ اصبح حديث الناس في هذه الخيانة .

ـ لا تخربي بيتك يا بنتي بسماع اقوال الناس .. فمن طبعهم العمل على هدم كل اسرة سعيدة .

وانفجرت عائدة باكية : انها الحقيقة .. لقد انبأتني بها صديقتي زينب التي عادت فورا من دمشق .

ـ لا تصدقيها .. انها كذابة .

ـ وما مصلحتها في هذا الكذب ؟

ـ انها عانس .. ولذتها ان ترى الاسر السعيدة تتهاوى ..

ـ ابدا .. انها مخلصة لي .

ـ يخيل اليك هذا .. ولكنها فى اعماقها تحسدك على سعادتك لانها حرمت مثلها .

ـ لا يمكنها ان تختلق حادثة لم تحدث .

ـ تستطيع بكل سهولة .

ـ والانكى من هذا كله .. خيانته فظيعة .

ـ ابراهيم مخلص لك .

ـ ومع من ؟.. مع زوجة ابي .

وصرخت الام : كذب . دس .

وتهدج صوت عائدة وهي تقول : تصوري يا اماه .. لقد مضى شهر على ذهابه الى دمشق ليبحث لنا عن بيت ننتقل اليه ، وفى كل رسالة يبعثها الينا يتعلل بازمة السكن،ويعلن انه لم يجد البيت الذي يوافقنا . اتدرين لماذا ؟ بالطبع لانه استمرا الخيانة مع هذه المراة التي حلت مكان امي بعد موتها .

وحجبت وجهها بيديها ،واغرورقت عيناها بالدمع وهمهمت : اهناك افظع من هذا ؟

ـ اؤكد لك انها وشاية ملفقة .

ـ جميع الناس يتحدثون عنها .

ـ سافري .. وتأكدي بنفسك .

ـ وكيف اتركك وانت مريضة ؟

ـ المهم عندي ان تتلمسي بنفسك هذا الكذب .

ـ مستحيل ان اصل الى نتيجة. هل اسأل ابراهيم ؟ من الطبيعي ان يزعم انه كذب .

ـ انا اعرف ابني انه لم يتدنس فى حياته .. لقد تزوجك اثر حب .. ثلاث سنوات امضاها ، وهو يعبدك فى صمت .. انه يقدسك يا عائدة ، وقلامة ظفرك عنده بنساء الارض .

ولم يغمض لعائدة جفن تلك الليلة، فقد جثم عليها كابوس فظيع،ابراهيم ينحدر الى الهاوية .. وتمنت لو كان امامها لفتكت به وانهت حياته الفاجرة . لقد حطم حياتها ، وبلبل وجودها .. ولعنت نفسها لانها اندفعت فى حبه دون هوادة . صحيح انها لم تحبه قبل الخطوبة . ولكنه عندما افضى اليها بانه ظل يحبها ثلاث سنوات دون ان يشير مجرد الاشارة الى عاطفته ، سمقت به الى الذروة ، ووجدت فيه الملاذ الذي تعوذ به فى هذه الحياة التي قست عليها ، فانتزعت منها امها ، وحرمتها حنانها وبرها، وتزوج والدها وكفلتها جدتها لامها التي كانت تمت بصلة القربى الى ابراهيم . ورغم اتصالاتهما المستمرة ، وزياراتهما المتبادلة ، لم ينبس بكلمة عن حبه اللاعج الذي فاض بين جوانحه ، حتى خط مستقبله بعد ان تخرج من كلية الحقوق،ووجد وظيفة فى شركة كبيرة تؤمن له العيش الرفيع . وكانت فى كل يوم تجد فيه مزايا جديدة تحببه اليها.. حتى اذا نقل الى مقر الشركة فى دمشق انقاد الى تلك المراة التي ارادت تحطيم حياتها لانها تكرهها من صميمها . وكأنها لم تكتف باحتلال مركز امها حتى اشفعتها بافظع جريمة اقترفها انسان ، تثور بها الارض ، وتلعنها السماء . واختلطت هذه الرؤى في ذهنها ، فتضاربت بها الاحاسيس المتغايرة ، ومن خلال هذا الضباب الصفيق شع وميض فى ذهنها الناصب، ارتاح له قلبها المتألم .. ستنتقم ، وستدق عنق هذه الفاجرة ، وبعدها لتذهب الى الجحيم .

ووافت دمشق عند الظهيرة . وذهبت فورا الى بيت والدها .. ورنت جرس الباب ، وفتح لها الاب، واستبدت به المفاجأة فعلته فرحة طفت على اساريره ، وضمها الى صدره ، وقبلها بحنان ، وهتف :اهلا وسهلا يا حبيبتي .

واسرعت اليها زوج والدها تستقبلها بحرارة وشوق ، وهي تقول : ما اسعدنا بك يا عائدة .

غير ان هذا الترحيب الحار زاد حقدها ، انها تعرف كيف تتقنع بالبراءة . وغلغلت فيها نظراتها الآسية كأنها تراها لاول مرة . وتفاعلت بها نقمة شديدة ، ولو طاوعت نفسها لاسرعت اليها، والقتها ارضا ،وقعدت على صدرها ولن تريم عنه حتى تستل روحها . ماذا اعجبه فيها حتى عبث بقدسية الزواج ؟ انها عاطلة من كل جمال . واذا قارنت بينها وبينها وجدت فرقا هائلا ، فهي فى العشرين من عمرها النضر تطفح بالسحر الريان، ويزدهي بها الشباب المنضور .. اما هي ، فقد نطحت الاربعين ، وذوت فيها كل نضرة .. ولكن الرجال دوما عيونهم فارغة ، يستمرئون الحرام.. وليس ابراهيم الا واحدا من القافلة الكبرى التي تنتظم الرجال .. الذين يجدون فى الهوى المسروق لذة مشبوبة الاوار .

وتهالكت على اول كرسي صادفتها، وقد نصل لونها ، وبهت فيها الرواء. وقال ابوها : يبدو انك متعبة من السفر

ـ لا .. يا بابا . انا مرتاحة .

ـ وما معنى هذا الشحوب ؟

وقدمت لها زوجة الاب المرطبات ، وهي تقول : اننا اسعد الناس بمرآك الجميل يا عائدة .

ورفضت ان تتناول كوبا من الليمون ، والحت عليها زوج ابيها قائلة : انه ينعشك ، ويزيح عنك وعثاء السفر .

ولكنها صرخت : لا اريد .

وحدق بها الاب وقال : لماذا غضبت يا عائدة .

وقالت الزوجة : انها معذورة .. فهي متعبة من السفر .

واجابت عائدة بلهجة جافة :كلا.. لست متعبة .

وقال الاب : لماذا هذه العصبية يا عائدة ؟ عهدي بك رقيقة كالزهرة لينة كالنسمة .

بيد ان عائدة لم تسمع ، ولم تعي شيئا . كانت فى عالم اخر .. نفسها تتلظى على هذه الممثلة التي برعت فى اتقان دورها ، وتنسيق الوانه .. ولو اصاخت الى نداء قلبها لوثبت بها ، وجثمت على صدرها .. ولن تذرها حتى تحشرج الحشرجة الاخيرة .. وستكون لهذه الحشرجة نغمة

موسيقية لها حفيف تطرب لها روحها الظمئة الى الانتقام .. وسرحت بصرها في البيت الذي شهد اثم زوجها .. مع هذه الافعى .. لقد سكن في هذا البيت كما اخبرتها زينب .. وكان يهتبل فرصة ذهاب ابيها الى عمله ليندفع مع هذه الرقطاء في الغواية ونهيب الحب الحرام .. واعتمل بها تقزز كريه ، وغلبها الوجد ، فتفتت نفسها حسرات ، وعبرت بها رؤى قاتمة ، وضاقت انفاسها حتى اوشكت على الاختناق .. واخيرا استطاعت ان تكبح جماح عواطفها المتدافعة ، وقالت : واين ابراهيم يا بابا ؟

ـ والله .. لا بد ان اشكوه اليك.

ـ لماذا ؟

ـ لاننا لا نعلم ان كان في دمشق ام غادرها .

ـ وكيف هذا ؟

ـ زارنا عند قدومه دقائق معدودات وعزمنا عليه بالحاح ان يحل ضيفا عندنا ، فرفض ، ولم نره بعدها ابدا.

ـ الم يسكن معكم في هذا البيت؟

ـ قلت لك اننا لم نره سوى بضع دقائق .. حتى انه ابى ان يتنازل ويتناول الغداء معنا .

ـ واين يسكن الان ؟

ـ والله لا اعلم .

واستنارت بصيرتها ، وتهللت قسمات وجهها ، وادركت كل شيء. وقامت الى ابيها ، وطوقته بذراعيها ، وقفزت الى زوج ابيها، وهتفت ،وهي تضمها الى صدرها : ناوليني هذا الكوب ... ان الحياة لذيذة .

وذهل والدها ، وتمتم : ماذا بك يا عائدة ؟

ـ انا سعيدة جدا يا بابا .

وعقبت زوج ابيها : ان شاء الله سعادة دائمة .

وجرعت كوب الليمون ، وهي تجد له مذاقا عذبا سحريا لم تعهده في حياتها ، وقالت : انا خارجة يا بابا .

ـ الى اين ...

ـ الى ابراهيم .. سأجده في الشركة ..

وامتطت «تاكسيا» وهرعت اليه في مكتبه ، وكان غارقا في الاضابير ، وتمنت لو كان وحده لتلقي نفسها عليه تستغفره لسوء ظنها فيه ، وسماعها الوشاية التي نفثها الحسد، والكبت والثرثرة المريضة ..

وومضت عينا ابراهيم ببريق السعادة . وهو يصافحها بحرارة .

واستأذن من رئيسه ، وخرج معها ، وتأبط ذراعها وقال : انها مفاجأة .

وقاطعته فرحة : لماذا لم تسكن في بيت والدي ؟

ـ هذه كانت فكرتي لاول مرة .. ولكنني عندما شاهدت خالتك لم استطع ان اعود مرة اخرى .

ـ ولماذا ؟

ـ لانها المراة التي احتلت مكان ام معبودتي فشعرت نحوها بكراهية شديدة .

ـ وما ذنبها ؟

ـ لا ذنب لها . . ولكن هذا احساسي .

ـ انت عظيم يا ابراهيم ..

ـ وما مناسبة هذا الاطراء

ـ مناسبته .. انني احبك ، وسأظل احبك الى الابد .

ما اروع هذه الكلمات يا عائدة.. وكيف امي ؟

ـ بخير .. والحمد لله .

ـ وجدت بيتا يوافقنا منذ يومين وعقدت الايجار ، وكنت مسافرا اليكم هذا المساء لاصحبكم ..

ـ الله لا يفرق بيننا يا ابراهيم

ـ آمين .

طرطوس **محمد حاج حسين**

شوق ذبيح

في اي روض سقاك الطل سوسنة تفتحت فاستفاق النور والعبق

رفت في ثغري الظمآن اغنية يستاف منها الضحى والليل والغسق

أومأت فأتشح الافق الجديب منى بكل لون ندي يعشق الافق

صبية الصدر لا ترتاح اغنيتي ان لم اكن في لهيب الصدر احترق

اسر في اذنك الصماء ملحمة ضلت خطاها ، وماتت دونها الطرق:

معذب جاء بمتشفيك .. علته الحب واليأس والحرمان والقلق

اعل نارك لا اروى .. واخيلتي سود تزاحم . . لا فجر ولا شفق

ومخدعي تبو اوهام تمزقني فها انا في حنايا وحدتي مزق

يأبى الهوى ان تنامي الليل هانئة بينا انا ، ههنا التسهيد والارق

قالوا : مراهقة لا تستقر على حب . اكاد اقول : الحق ما نطقوا

بغداد **محمد راضي جعفر**



تكوين الشخصية

تأليف الدكتور نوري الحافظ ـ تقديم الدكتور معمر خالد الشابندر ـ
١٤٤ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد

هذا موضوع خطير بالنسبة للشرق العربي ، وذلك لحاجتنا الماسة اليوم الى تكوين شخصيات قوية تستطيع ان تحمل المجتمع العربي الجديدعلى كاهلها وتسير به قدما الى الامام .

ويؤسفني ان اقول ان الشخصيات القوية الضليعة ، والجديرةبتحمل المسؤوليات بمفردها اقل بكثير مما نحتاج اليه . ولا ندري ما العلاج ؟ فقد قيل لنا ان الاصل في تكوين الشخصية المتينة هي الثقافة وها نحن اولاء نجد ان التفسخفي الطبقات المثقفة اكثر تفشيا منهفي الطبقات العامة او الامية ، وانا اعرف شخصيا احد هؤلاء المثقفين ثقافة عالية ومنالمولعين بالمطالعات المتنوعة وبالبحث والتتبع ... ولكنه ما ان تقلد منصبا اداريا حتى انتصب شيطان الانانية في نفسه بكل شرهه وعتوه وجبروته ، ولقد تخطى القوانين والانظمة ، ولكنه مع ذلك لا يزال يتحدث عن المثاليات والفضائل الفردية والاجتماعية والمثل العليا ، تضليلا للسذج وتمويهها لجاهلي حقيقته .

هذا نمط من الشخصيات المتفسخة المتهرئة ... والخطرة في الوقت ذاته ... غير انها مع كل ذلك شخصية مثقفة ، ومثقفة جدا . وامثاله ـ والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ـ كثير في المجتمعالعربي. فهناك كذلك ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ من نال الشهادة العالية ودخل سوق المتاجرة بالمبادىء الوافدة والمحلية معا ... واتخذ النفاق والتضليل ذريعة ... وراح يتقدم ويثرى على حساب غيره بدون اي خجل او حياء ... هذه نماذج مؤسفة من الشخصيات التي يعج بها مجتمعنا العربي ، فالثقافة وحدها لا تكفي لتكوين الشخصية المستقيمة ، وانما اس البناء هي التربية الصحيحة مضافا اليها الثقافة الاجتماعية السوية .

ولقد عالج المربون وعلماء النفسفي شرقنا العربي هذا الموضوعمشكورين ولكننا لا نزال بحاجة الى المزيد من هذه البحوث القيمة ، ولقد كان آخر ما طلعت به علينا المطابع كتاب « تكوين الشخصية » للدكتور نوري الحافظ الاستاذ بجامعة بغداد، وهو من الكتب التي قرأتها بامعانوشغف، قرأتها والقلم بيدي لئلا تفوتني ملاحظة قد تعن لي اثناء مطالعتي اياها . فعلت ذلك لا لان هذا الكتاب في علم النفس وانا مولع بالدراسات النفسية وعلاقاتها بمختلف الانتاجات الادبية من منظوم ومنثور ، ولا لكونه يرشدني الى تفهم بعض الشخصيات وكشف النقاب عن اوجهها الشوهاءالممسوخة التي تخدع المجتمع حينا من الدهر كالشخصيتين اللتين اسلفناذكرهما، ولا لانه من وضع صديق كريم تجمعني واياه زمالة طويلة وصداقةسنوات حافلة ، بل لان الكتاب يغري بالمطالعة ، ويستدرج قارئه الى الغوص في صفحاته دون تلكؤ .

ومما يسر المطالع ان تكون المقدمة للدكتور معمر خالد الشابندر قيمة كذلك . واننا لنتفق واياه كل الاتفاق حين يقول (ص ٩) : « ان الاختبارات النفسية ضرورية ... في ايجاد العمل المناسب للشخص الملائم ، ولن يستقيم الحال في مجتمع لا يوضع افراده في مواضعهم الصحيحة علىضوء الخبرة المستقاة من اساليب علم النفس الحديثة » .

لقد اعتمد المؤلف على (٣٥) مصدرا (١.) منها مصادر عربية والبقية انكليزية ويظهر انه استطاع ان يهضم هذه المصادر جميعا ويقدم لنا خلاصة تحليله مستوفاة لها في خمسة فصول تتدرج من تعريف الشخصية الى ماهيتها ومقوماتها ونواحي القوة والضعف فيها وتنتهي بتكوين الشخصية الجيدة ... كل ذلك في ١٤٤ صفحة مركزة .

هنا يجب ان اعترف اعترافا صغيرا وهو انني مع تقديري لعلمالنفس اجده علما خطرا في ايدي انصاف المتعلمين ... وبصورة اخص تحت اقلام غير الناضجين من المؤلفين . ولكن كتابا من النمط الذي بين يدي لا يخيف ولا يحمل احدا على التردد في تقديمه الى الشبان الذين لم تتكامل شخصياتهم بعد ، لانه كتب بتعقل ورزانة ونضج ، ولكن ذلك لا يعني انهخلو من روح الطرافة فمنطريف ما يذكره لنا ان اللفظةالانكليزية لكلمة «الشخصية» قد اشتقت من « القناع والوجه المستعار الذي كان يلبسه الممثل في العصور القديمة ... ليظهر امام الناس وامام الاعين بمظهر معين ومعنى خاص» أ هـ . اذن فالشخصية في الاصل لا تخلو من التكلف والظهوربغير المظهر الحقيقي للانسان، على انها معذلك لها سمات طبيعية تتميز بها ولا يمكن ان يغتصبها شخص آخر بيسر ولمدة طويلة .

ويظهر ان المؤلفقد تأثر بمذهب الوجوديين القائل بانكل انسان كائن لا نظير له بل هو شبه آلة في تكوينه وتصرفاته اذ يقول :

« فكل انسان من حيث كونه ظاهرة وحيدة متميزة ولا تتكرر ابدا على طول الزمن ، ومن حيث كونه لا يوجد من يشبهه شبها كاملا في اي كان ، يعتبر من هذه الوجهة موضوعا لا تنص بتفسيره تفسيرا تاما ، القواعد العامة التي نستمدها من علم النفس العام » (ص ١٢) .

فكلامه اذن مذهب الوجوديين ملطفا ، ولكنه مع ذلك محق في ما ذهب اليه فقد تكون هناك ظواهر نفسية شاذة لا تنطبق عليها القواعد العامة ولا بد من ايراد مثل هذا الاستدراك في المقدمة . بيد انه تحضرنا كلمة للبروفيسور جي . بي . ا س . هالدين في كتابه «عدم تساوي الانسان» يصرح فيها ان الشخصيات الانسانية مهما كانت متعددة بحيث تتحدى الحصر فان قسما منها يتكرر على مدى الازمان . ذلك لان الشخصيات على ضخامة عددها محدودة في حين ان الزمن غير محدود فلا بد لها اذن من ان تتكرر .

ولقد حاول الاستاذ جهد امكانه ان يعرف الشخصية تعريفا مرضيا ولكنه ـ علىما يظهر ـ كان كمن يحاول تعريفالحب او الجمال او الامور المعنوية الاخرى التي تتحدى التعريف ولكنها تقبل الوصف التقريبي . وهذا ما حصل في بعض التعاريف الجيدة التي جاء بها المؤلف للشخصية فهي وصفية اكثر منها تعريفية محددة . ومن اجمل هذه التعاريف او الاوصاف قوله عن الشخصية بانها : « القدرة على التأثير في الغير او الاثر الذي يتركه الشخص في من حوله » (ص ١٦) .

وينفي المؤلف كون الشخصية انطباع الفرد بحضارة المجتمع وهومحق اذ ـ كما قال «شوبز» ـ لو ان الناس في مجتمع من المجتمعات يتصرفون على نمط واحد ويفكرون تفكير رجل واحد ويشعرون الشعور نفسه ، لما كان هناك وجود للشخصية على الاطلاق » (ص ٢٠) .

وفي فصل ماهية الشخصية يبدو التفاوت الكبير بين الناس في الاتفاق

على الصفة البارزة للشخصية فمنهم من يراها «في المرح والغبطة والسرور والابتهاج . ومنهم من يراها في الشجاعة والجرأة والعزم والاقدام ... ويزيد أناس آخرون على كل هذه السجايا والميزات ، جمال الوجه وبهاء الطلعة والابتسامة المشرقة ... » (ص ٢٣) . وصاحب الشخصية هو الذي يثير انتباه الناس ويبعث فيهم الفضول » .

وكم كنت اود لو ان الدكتور الحافظ لم يعر اهتماما خاصا لاولئك الناس الذين يرون الشخصية في الرجل الاعتدائي المتكالب الجشع لان الانسان الذي لا يعرف المؤلف حق المعرفة يكاد يتصور في بعض صفحات الكتاب انه يؤيد هذا الضرب من الشخصية وما هو كذلك ولعل دافعه الى ذلك هو شيوع هذه النظرة الفاسدة في دور من ادوار انحطاط مجتمعنا مع الاسف فاراد ان يتقصاها بالتفصيل .

ومنهم من يرى الشخصية في اللباس والمظهر الخارجي وهذه نظرة الاكثرية الساحقة من الناس ولكنها ما هي بنظرة الخبيرين بطبائع الناس ودارسي علم النفس قد يكون الشخص المغمور الرث الثياب ذا شخصية جيدة بل ساحرة على الرغم مما هو فيه من سوء الحال (ص ٦) .

الا انني لا اوافق المؤلف في حشر «تأكيد الذات» كصفة من صفات الشخصية القوية . فتأكيد الذات نقيصة من نقائص الكثيرين عندنا وقد ناقشت بعض اصدقائي المثقفين الذين يغالون في «تأكيد ذواتهم» فقال احدهم : ما ذنبي اذا لم يقدرني المجتمع ؟ يجب ان افرض نفسي فرضا » وقال آخر : « ان المجتمع يقدرك بقدر ما تغالي باهميتك . لذلك فانا اجلس في صدر كل مجتمع ادخله » .

ولا اوافقه كذلك في حذف عنصر الثقافة كعنصر لازم في تكوين الشخصية الجيدة (ص ٢٨) فأية شخصية جيدة في انسان متزن طيب لا ثقافة له . انك تحبه وتحترمه ولكنك تشعر دوما ان هناك ما ينقصه وانك لا تستطيع ان تعطيه اعلى درجات الشخصية القوية في سلم الشخصيات ولكن لو خيرت بين الثقافة المعوجة والخلق العالي الخالي من الثقافة لتكوين الشخصية لاخترت الثاني ، بيد انني مع ذلك افضل الخلق العالي مع الثقافة على الخلق العالي المجرد منها .

ويعجبني ان الاستاذ الحافظ اخرج من مؤهلات الشخصية الحسب والنسب وجمال الصورة ، ولكن يجب الا نغالي في هذا الشأن فمع ان هذه ليست عناصر جوهرية فانها من متممات الشخصية القوية المتكاملة فاي شيء قال من شخصية الجاحظ في زمانه غير دمامته وقبح صورته مما جعل الخلفاء يعرضون عن توليته منصب الكاتب في الديوان او المؤدب لابنائهم ، واذا كنا نبحث عن الاصالة في الخيل وبعض الحيوانات الاخرى فما احرانا ان نبحث عنها في الانسان وهو سيد الكائنات الحية ؟

اخشى ان المؤلف احيانا يستخرج قواعد عامة من بعض الحالات الخاصة فان اخفاق ممثلة او بضع ممثلات جميلات على خشبة المسرح ونجاح بعض القبيحات لا يعني ان التمثيل الجيد صنو للدمامة والقبح (ص٢٨).

وكما ان الشخصية القوية قد تتوفر في الشخص الجميل والقبيح فانها قد تتوفر في الرجل الصحيح المعافى وفي العليل السقيم فقد قضى فولتير معظم حياته عليلا سقيما كما ان دارون قرأ ودون اكثر بحوثه في فراشه فليست الصحة اذن من الدواعي الاساسية للشخصية المتينة .

اما اقوال الباحثة «كرين بي» بان اكثر الناس يفضلون الجمال والقوة وحسن النية ـ في الشخصية ـ بدلا من الذكاء الخارق ، فذلك لان اكثرية الناس من متوسطي الذكاء فهم لا يستطيعون مجاراة خارقي الذكاء في افكارهم واعمالهم فهم لذلك متعبون بالنسبة اليهم فيفضلون آخرين غيرهم ممن لا يكلفونهم عناء تفكير او مجاراة في عمل خارق لا يقدرون عليه فيشعرون بالنقص امامهم .

والفكاهة المعتدلة ضرورية للشخصية الجيدة الا ان الاسراف فيها محطمة لهاكل التحطيم ، وكذلك الحس الاجتماعي «وعدم تهيب المجتمعات» واللباقة من العناصر الاساسية وقد يكون صاحب هذه المؤهلات ذا ثقافة قليلة ولكنه يستطيع مع ذلك ان يتفوق اجتماعيا على من يبزه بالعلم وتنقصه اللباقة .

ولا ارى مبررا في ان ننحني باللائمة على الشخص الانطوائي فالظاهر ان حضارتنا مدينة الى حد كبير الى اشخاص انطوائيين قضوا معظم حياتهم في المختبرات والمكتبات ليخرجوا على العالم بالجديد من مستنبطات عقلياتهم الكبيرة وقد اورد المؤلف فكرة طالما رددها برناردشو وهو ان الرجل المعقول هو الذي يكيف نفسه للمجتمع في حين ان الرجل غير المعقول هو الذي يحاول تكييف المجتمع لنفسه والتقدم لا يكون الا به . ويمكن ان نذكر من الشخصيات الانطوائية النافعة مثلا شخصية جان جاك روسو الكاتب الثوري واديسن العالم المخترع .

وقد يكون من المغالاة ان نقول مع بعض الباحثين ان الشخصية الانبساطية تغلب عليها « الروح الاعتدائية ، وقد يرى الناس في سلوكه ضروبا من الانانية ونوعا من الاستهتار بمصالح الاخرين » (ص ٣٦) .

ونا اربأبي مؤلف في علم النفس ان يظهر الشخصية الشريرة ممجدة.. وكما لو كان الناس يخافونها ويرهبونها ويقدمون لها واجب الخضوع والطاعة .

وليس من شك في ان الشخصية الطموحة المخفقة هي اخطر انواع الشخصيات في المجتمعات ولا سيما اذا كانت الطبيعة قد حبتها بشيء من الذكاء والعبقرية فهي التي تسبب الويلات والكوارث دون ان «تفلسف» او تبرر ما تجد نفسها فيه اذ ينقلب مثل هذا الشخص انسانا آخر يتميز بالقلق والاضطراب وتسود الدنيا في عينيه ، وقد يثور وينفجر وقد يتغطرس ويتجبر ويتمرد على الانظمة والقوانين والعرف السائد والقيم المتبعة ويصبح مصدرا للازعاج وسببا في تعكير صفو الامن ، وقد تجد بين امثال هؤلاء افذاذا اسيئت تربيتهم الاولى فانمسخت شخصياتهم مع الاسف وانتشرت بذور افكارهم السيئة فجنوا على انفسهم وعلى جيل كامل من البشر جعلهم قدوة له .

انني اعتقد جازما بان رجال التربية والتعليم مسؤولون في الدرجة الاولى عن ظهور امثال هذه الشخصيات الملوثة بالوان العقد وذلك لاهمال توجيههم واصلاحهم في ايام نشأتهم الاولى فان الطفل ـ كما قيل ـ ابو الرجل ، وكما يكون الطفل يكون رجل المستقبل ...

والشيء المهم هو ان تجعل المرء بوضع يتمكن معه من الموازنة بين دوافعه الفردية والاجتماعية (ص ٣٩) والا كانت شخصيته مقسمة المثل مجزأة الولاء او غدا شخصية متعصبة تعصبا جنونيا لناحية معينة واحدة (ص ٣٩) فالنقطة الاساسية هي توليد الحس الاجتماعي في الفرد .

على ان اعتبار الشخص الانطوائي شخصا انانيا قد لا يخلو من المبالغة اذ ربما يكون مثل هذا الانطوائي خجولا او منصرفا لعمل جدي معين كاكثر المكتشفين والمخترعين الذين لولا انطوائيتهم المثمرة لما توصلوا الى النتائج العظيمة في حياتهم كما ذكرنا ، فالانطوائية ليست امرا سيئا في الشخص ولو خير الحكم العدل بين التفريط في الانبساطية والانطوائية لفضل الثانية على الاولى لكونها اقل شرا ، فالثابت ان المجتمع ينمي ويربي مدارك الانسان ومفاهيمه ولكن الوحدة مدرسة العباقرة والنابغين .

غير اننا اذا تسامحنا مع فريق من الناس الخارقين في هذا الشأن فلا نتسامح مع الكثرة الكاثرة من الناس المتوسطى القابليات الذين يجب ان يخطوا لانفسهم طريقا وسطا بين الانبساطية والانطوائية ، لان الانطوائي المفرط قد لا يستطيع معالجة ما يجابهه من ازمات والانبساطى المفرط قد يضيع حياته في المجتمعات سدى دون ان ينتج شيئا مفيدا ينطبع بطابعه الذاتي نتيجة تفكير وتأمل بعيدين عن صخب المجتمع وجلبته .

ولقد احسن المؤلف صنعا حين التفت بين حين وآخر الى الناحية البايولوجية في تكوين الشخصية من حيث تأثير الغدد الصم وافرازاتها الداخلية ولكنه ـ مع ذلك ـ يجمل القول فيها فيقول « ان مزاج المرء وتكوين شخصيته لا يعتمدان كليا على درجة هذه الاضطرابات ومبلغ تلك

النقائص الداخلية ، سواء أكانت نقائص فى الافرازات ام فى اعضاءالجسم نفسه بل يعتمدان فى الحقيقة على الطريقة التي سيستجب فيها لهذه النقائص وتلك الافرازات المضطربة» (ص ٥١) ويعيد نفس الفكرة في (ص ٦٢١) .

ويعالج المؤلف مختلف انماط الشخصيات وفيها الشخصية المذبذبة بين السوداوية والانشراح النفسي ويصف العلاج لمثل هذه الشخصية بالغوص فى قرارة العقلين الواعي والباطن للتوصل الى كل ما يسبب هذا التأرجح والتذبذب فى السلوك (ص ٥٦) .

وقد اصاب كبد الحقيقة حين قال ان سعادة الفرد تعتمد على مبلغ تجاوبه مع الاخرين والنزول عند رأيهم فى كثير من الاحيان (ص٦٣) وكرر نفس الشيء (ص ١٢٤) واضيف هنا ان السعادة داخلية تنبع من اعماق الفرد ومن ينبوع ضمير صاف مطمئن باداء المرء ماله وما عليه ، ولاتفرض فرضا من الخارج بمختلف صنوف الرفاه والمظاهر الكاذبة والسعادة الحقيقية هي لحظات خاطفة تستمتع بها وبذكراها الشخصيات السوية(١)

ومن الامور الممتعة التي يثيرها مؤلف تكوين الشخصية « ارتباط الامراض الجسمية بالعاهات النفسية » اذ يقول : « يفسر البعض ... من الباحثين ظهور اعراض بعض الامراض ، كالطفح الجلدي واحتقان الوجه وامراض جسمية اخرى ، على انها تعبير صريح للحقد الاسود الدفين ، وتنفيس مباشر للضغائن المكبوتة والتي لم يقدر لها الظهور بصورة طبيعية (ص ٦٩) .

ولم يفت المؤلف ان يشير الى ان الانظمة السياسية لها علاقة بنمو او قتل الشخصيات (ص ٧٠) فالحرية هي التي تخلق الشخصيات القوية.. دون خشية من قيد او خوف من كبت » (ص ٧٣) ولكنها مع ذلك «لاتعني اطلاق الغرائز على سجيتها» وينكر الدكتور الحافظ وجود كثير من الفضائل فى المجتمعات القديمة لانها ناتجة عن قوة الشخصية والحرية والمساواة والايمان بحق المجتمع (ص ٧٣) وهو قول يدعو الى التامل وقد لا يجد له من المشايعين الا انفارا معدودين ويضع خطا للتمييز بين شخصية المرء وخلقه (٧٤) على ان لا يعطي كبير اهمية للثقافة كما سبق ان ذكرنا تكون الشخصية ويمنح العاطفة الرئيسية او تعلق المرء بفكرة اساسية معينة اهمية خاصة فى هذا الشان (٧٥ ـ ٧٦) ويظهر ان المؤلف لم يقتنع تمام الاقتناع بمدى قيمة الثقافة فى تكوين الشخصية اذ يعود فى الصفحة (٧٨) فيجعلها من العوامل الاساسية البارزة التي لا نستطيع تجاهلها « كما انه يؤكد ان التفكير الخلاق الذي يرتكز عادة على ثقافة واسعة هو الذي رفع الانسان الى اعلى درجات المدنية » (٧٩) .

بيد انني لاحظت ان المؤلف يخرج عن الموضوع بعض الشيء حين يغوص فى البحث فى ما يسميه بعملية التفكير » (ص ٨٠) ولا ينتهي منه الا بانتهاء الفصل (ص ٨٥) وكان بوسعه حذفه دون ان يؤثر ذلك على سير الكتاب ، بل بالعكس كان بالامكان جعله اكثر اتساقا وامتاعا .

فعملية الكتابة والتاليف على وجه العموم ليست مجرد ما يسطره الانسان على صفحات كتابه بل هي كذلك معرفة ما يجب آن يتركه فى المحبرة من افكار ....

وقد تجد فى الكتاب احيانا عودا الى موضوع معين حينا بعد حين وكان بوسعه ان يجمع هذه النقاط فى مكان واحد دون تشتيتها كما فعل مثلا فى موضوع الشخصية الاعتدائية التي عالجها فى (ص ٣٤) (الفصل الثاني : ماهية الشخصية) وفى (ص ٨٧) (الفصل الرابع : نواحي القوة والضعف فى الشخصية) .

وقد توصل الاستاذ الباحث الى نقطة مهمة كنت اشعر بها منذوقت طويل ولكنه استطاع وصفها فى قالب اكاديمي مقبول فقال : «يؤكد كثير من علماء النفس بان الكبرياء والغطرسة دليلان واضحان على ضعف الشخصية . وهما سلاح اولئك الاشخاص الجبناء الذين يعجزون ان يوحوا للناس باهميتهم وعلو شانهم» (ص ٩١) ... ثم يضيف قائلا : على المرء ان يتجنب الكبرياء والعجرفة كما يتجنب الاوبئة والامراض . وفى الحقيقةاننا لا نقصد من هذاكله تشجيع المرء على الاسفاف والتبذل.. او التساهل بكرامته وعزته (ص ٩١) .

ولا ادري كيف يجعل الدكتور نوري التحفظ والتحوط من عوامل ضعف الشخصية (ص ٩٤) فى حين ان الرسول الكريم (ص) يقول : « حافظوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » الا ان يكون مثل هذا التحفظ والتحوط من السخف المبالغ فيه .

وقد لاحظت بعض الهنات اللغوية الهينات فى الكتاب من نحو استعماله الخطأ الشائع «مشاكل » كجمع لمشكلة فى حين ان الصواب «مشكلات» واعتبار « ما » مؤنثة فى حين انها مذكرة دائما فى نحو قوله « ان الله قد وهبهم .. من القابلية العقلية ما يجب استغلالها والصحيح: «استغلاله» (٩٩) على ان لغة الكاتب على العموم سلسلة سليمة ... ويبدو ان المؤلف لا يؤمن بالحظ والحقيقة ان الحظ موجود ولكن قد تختلف فيه التسميات ، سمه حسن المصادفات او « الظروف المواتية » او ما شئت فهو موجود كائن دون شك الا انه يجب الا نؤمن به ايمانا اعمى وبصورة اتكالية خالية من كل جهد او محاولة ، فالحظ لا يتأتى الا عن طريق العمل الدائب المستمر ، والفرق الوحيد هو انه ياتي لبعضهم بقليل من الجهد ولاخرين بجهود مضنية شاقة .

وحقيقة الرجوع عن الخطأ مظهر آخر من مظاهر الشخصية القوية (ص ١٠٤) والتعصب الاعمى من مظاهر ضعف الشخصية (ص ١١٠) .

واخيرا ينتهي المؤلف من وصف الفرد ذي الشخصية القوية الآسرة فيقول هو « ذلك الشخص المتطور المتجدد الذي يدرك ببصيرته ان عليه ان يواكب سير الزمن ... هو ذلك الشخص المفتوح الذهن الواسع الصدر الذي لايرى حرجا او بأسا من الاعتراف بخطئه وقصوره» (ص ١١٢) .

وقد وقع الاستاذ فى خطأ شائع حين جعل الحب الروحي مرادفا للحب الافلاطوني ونعته بالبريء (١٣٧) .

وقد لاحظنا انه خالف نظرية سلامة موسى فى تكوين الشخصية حين قال : « الانسان لا يستطيع ان يحقق لنفسه شخصية جيدة ناجحة عن طريق رسم صورة ذهنية لنوع الشخصية التي يريد ان يحققها لنفسه او انه سيبلغها فى يوم من الايام » (١٤١) وانا اعتقد ان الدكتور نوري فى هذا على صواب وان سلامة موسى على خطأ اذ لا يكفي ان تحلم بالشخصية التي تريدها لنفسك دون ان تتامل فى الامكانيات والمؤهلات المتوفرة فيك .

اما دعوة بعض الكتاب فى عدم كشف الناس عن نواقصهم (ص ١٤٥) فهذه دعوة غير مستحبة لان الكشف عنها قد يؤدي فى كثير من الاحيان الى وصف العلاج لها والقضاء عليها اما التستر عليها فيثبتها ولا يغير من الحقيقة شيئا وانما يؤدي الى كشفها بصورة غير مباشرة :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكان بودي لو انه عرض لبعض آراء الاقدمين من باحثي العرب في الشخصية ليكون بحثه اوفى واكثر تكاملا ولعله اراد ان يقتصر على بحث الشخصية العصرية دون غيرها وأراء المحدثين فيها .

وعلى كل حال فالكتاب من الكتب الجيدة الناجحة فى موضوعها ولا بد لكل شخص من ان يقرأه ولا سيما طلبة المدارس الذين لا تزال شخصياتهم فى بدء التكوين هذا وارجو من الاخ الزميل ان يستمر فى هذا الخط من التاليف فهو الذي يعوزنا ليقوم المعوج من اخلاقنا وينقذنا من فوضى الاضطرابات النفسية .

بغداد صفاء خلوصي

(١) راجع ما ذكره البروفيسور ماك آيفر مفصلا فى هذا الصدد فى كتابه «البحث عن السعادة» من منشورات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .



درويش المقدادي رجل الوطنية والتربية

•

اقيمت في طولكرم بالاردن حفلة تابين للمرحوم درويش المقدادي خطب فيها الدكتور قسطنطين زريق واكرم زعيتر وعبد العزيز حسين وغيرهم وهذه الكلمة خلاصة الخطبة التي ارتجلها يومئذ صاحب هذا المقال :

عرفت المرحوم درويش المقدادي لاول مرة سنة ١٩٢٧ ، وذلك لمناسبة محاضرة ما تزال بارزة فى ذهني القاها رحمه الله فى المكتبة الاسلامية بيافا . كان عنوان المحاضرة « مثل من عزم الشباب » ، وهو عنوان يصح ان اتخذه رمزا لشخصية ذلك الرجل الفذ الذي طواه القدر قبل اوانه منذ قريب ، والذي تجمعنا ذكراه اليوم .

كان ذلك منذ ما يزيد على ثلاثين سنة كما ترون ، والحرب العالمية الاولى واحداثها ما تزال ماثلة للناس تملؤهم رعبا وموعظة . وتقدم للخطابة فى تلك المحاضرة المقدادي الشاب يتحدث عن شاب اخر بريطاني ما يزال اسمه يرن فى سمع الايام ، وهو لورانس ، الذي يسمونه لورانس العرب ، رجل من ابطال الانجليز ، وان كان يثلم تلك البطولة شيء من روح الاستعمار ، ولا ريب .

لكن المحاضر المقدادي انحدر فى حديثه كما ينحدر السيل . يريد أن يمثل لحشد من الشبان العرب كيف تكون التضحية الوطنية والصبر على المكاره وكيف يكون النصر . واشهد اني رايت امامي مثلا من شباب العرب ورجالهم ظل موضع حبي واكباري واحترامي ما حييت . وعرفت ربما لاول مرة فى حياتي ، كيف ينفذ قول الرجل المخلص الى قلوب الاخرين

ولست اتحدث فى معرض تابين وحسب ، فقد يندفع المرء فى مثل هذه المناسبة الحزينة اندفاعا يظن معه السامع الكريم ان هنالك ذكرا للمحاسن وحسب ، ولكني فى موقفي هذا اتحدث فى غير مبالغة ولا استثناء . فالمقدادي كان رجلا كبيرا وبطلا من ابطال العروبة والقومية ، ولكنه يتوارى فى امة طيبة لا تدرك الى الان حقائق الامور جميعا ، ومنها ان تكرم المحسنين فى حياتهم كما تكرمهم بعد مماتهم .

نشأ المقدادي فى طولكرم وتعلم فى الجامعة الاميركية فى بيروت . وعلم فى الكلية العربية فى القدس ثم لجأ الى العراق ، ومنها الى سوريا ، ثم الكويت . وتوفي عن عمر يناهز الثالثة والستين . تنقلات بسيطة اذا اخذتها على ظاهرها . لكن لجوءه الى العراق كان فرارا من حكم استعماري جائر . وفى ثورة سنة ١٩٢٩ فى فلسطين صدر الحكم عليه بالسجن ثلاث سنين . وفى العراق اثناء الحرب العالمية الثانية اعتقل اربع سنوات متوالية ، وجرد من جنسيته واخرج من البلاد . فلما عمل فى الكويت مسؤولا عن المعارف هناك . اقام ادارة واسس نظاما لن تنساه الكويت ، اذ قد سطر فيها سطرا خالدا لا يمحى ولا يزول .

وفى العراق كتب المقدادي الكتاب الذي عبر فيه عن نفسه : « تاريخ الامة العربية » . وهو الكتاب الذي يعبر عن امتنا بهذا التعبير الذي لا اعرف ان احدا استعمله قبل المقدادي بالمعنى العلمي الاتنوغرافي الحديث « الامة العربية » — امة واحدة من المحيط الى الخليج . هذا الكتاب الذي خرج قوافل متتابعة من اجيال الشباب العرب . وفى مقدمته يقول رحمه الله « الغاية من تدريس التاريخ القومي بث الفكرة القومية حتى ينشأ الطلاب وهم مؤمنون بان لهم كيانا وتاريخا وامة ، ولكي يحترموا امتهم وتقاليدهم ، فان الامة اليائسة البائسة التي يحتقرها ابناؤها مقضي عليها بالفشل والذل والهوان . ونريد من ابناء البلاد ان يتيقنوا بان امتهم جديرة بالحياة وان لها الحق فى ان تعيش حرة متحدة مستقلة ، ونعلم طلابنا التاريخ حتى يكونوا أهلا لحل مشاكلنا الحاضرة وتفهم مجتمعنا ، كما انهم يتحققون النتائج الوخيمة التي تنجم عن التفرقة والفوضى والانانية وعصبية القبائل » . واختتم المقدادي كتابه بهذه الكلمة : « فكما ان المانيا واميركا وايطاليا استقلت وعظمت باتحاد دولها واقطارها وولاياتها كذلك نحن ، قوتنا وعظمتنا باتحادنا هي بالوحدة التي خلقها سيدنا محمد منقذنا الاول . فكما ان الاوروبيين والاميركيين واليابانيين يتعصبون لوطنهم ويموتون من اجله ، وكما تعصب ومات الصحابة فى سبيل اعلاء كلمة الله ، كذلك نحن ، يجب علينا ان نتعصب ونموت ونحيا فى سبيل قوميتنا وتقاليدنا وادابنا ولغتنا وتاريخنا وفي سبيل قوميتنا العربية الشاملة » .

وليس افضل من هاتين الكلمتين دلالة على ما كانت تعتلج به نفس درويش المقدادي طوال حياته . لقد كان يشعر حقا ان كل بلد عربي بلده ، ولذلك لم يكن يسيغ التنقل من قطر الى قطر ليخدم فيه لما خدم فلسطين فترة من عمره . ومع ذلك فقد كان حنينه الى الاردن الجديد عظيما ، فقد كان يمثل عنده فلسطين التي ينزع منها الى ابطال ما قد ابرم الاستعمار فى الجزء الغربي منه .

وكان يدعم هذه الرسالة عند المقدادي ، وهذا الهدف الكبير ، خلق عظيم ، هو ابرز ما فى شخصيته حين نريد التحدث عنه ، فقد كان رحمه الله خلقا منسجما مع رسالة خالدة . كان صادقا لا يكذب ، مستقيما لا يلين . عادلا دون استثناء ، يقول الحق ولو على نفسه . وكان اقوى ما فى خلقه ارادته العجيبة ، وكان يمتحن هذه الارادة بين اونة واخرى فى حياته امتحانا قاسيا يبلغ عند بعض الناس موضع النقد . فلقد مشى على قدميه مرة من بيروت الى حيفا يريد ان يروض نفسه على الاباء لحادث وقع له . ولقد ترك التدخين اثناء نضال تونس فى سبيل استقلالها ، فحلف أن لا يدخن الا فى تونس المستقلة. واستقلت تونس ، ولكن الايام لم تتح للمقدادي ان ينفس عن ارادته . وكان وفيا لاصدقائه لا يجد عنهم بديلا ، ولا يضيع منهم احدا . ولم يكن يتعرض لاحد بسوء ولا يبادىء احدا بالعداء ، حتى اذا تعرض له احد رأيت كريما يثور ونفسا تتلظى بالاباء والعزة ، تدفع عنها الاذى دفعا عنيفا حتى يعود الحق الى نصابه ، لا اكثر .

ذلك كان درويش المقدادي . وانت اذ تقرأ سيرة لورنس تجد شبها بين الرجلين البطلين ، الا من مساءة اصاب بها لورنس اصدقاءه العرب عن قصد او غير قصد ، لم يجترح مثلها المقدادي مساءة ضد قوم او احد ، انما كان يناضل ليدفع عن امته الاذى فى سبيل وحدتها ورفعتها .

وانطوت جوانح المقدادي على هذا الهدف . فقد مات رحمه الله وهو اقرب اليه منه يوم بدأ حياته . ولولا ان الانسان المخلص ينسى ما قدم لامته من خدمة وما بلغ فى سبيلها من مجد لمات المقدادي قرير العين لما قدم لامته فى اكثر من قطر عربي ، ولعله يكون قد احس ذلك رحمه الله ، فمات قرير العين طيب الخاطر .

عمان — محمد اديب العامري

الأدب العربي المعاصر ... والتراث

من خلال متابعتنا للاثار الادبية الصادرة عن الفئة الواعية من ادبائنا ، نستطيع من غير مشقة ان نتبين عددا من الظواهر الجديرة بالاهتمام ، ابرزها .. محاولة تلك الفئة الواعية رصد الاتجاهات الادبية العالمية ، سواء عن طريق متابعة المؤلفات المترجمة ـ وهي ضئيلة بالطبع ـ او عن طريق الحصول على تلك المؤلفات بلغاتها الاصلية التي لم تنلها الترجمة بالتشويه .

ولهذه الظاهرة اسبابها ودوافعها . فلقد فرضت الدولة العثمانية خلال القرون الاربعة التي اتيح لها فيها ان تنال من حرية الوطن العربي ، عزلة فكرية شديدة على الادباء والمفكرين العرب ، وهي عزلة يمكن ان توصف بانها تحمل الكثير من سوء القصد ، وتستهدف القضاء على كل صلة يمكن ان تنشأ بين الصفوة الممتازة من ابناء الوطن العربي ، وبين الحضارة الغربية الآخذة بالنمو والتطور .

ولقد كانت الاوضاع الاجتماعية في ذلك الوقت مهياة لتقبل فكرة العزلة. ولم يكن ذلك الا بسبب بعض المعتقدات التي استطاعت ان تجد طريقها الى الذهن العربي ، فتفرض عليه نظرة اقليمية ضيقة تفترض ان المكان الذي يعيش فيه هو محور العالم كله ، وان لا شيء يستحق الاهتمام على هذه الارض . فكان ان حققت العزلة الكثير من اهدافها على مدى اربعة قرون من الزمن ، ذبل فيها الفكر العربي . وانقطع عن كل تطور يجري خارج الحدود المرسومة للوطن العربي . ثم كان القرن التاسع عشر نقطة البداية في سبيل تشتيت تلك العزلة وبعثرتها . وتمكنت فئة واعية عرفت طريق الخلاص ، من ان توحد قدراتها وتتجه في خطوات من يثق بمقدرته صوب الابواب الموصدة فتنزع عنها الاقفال وتدعها مشرعة لكل من يرغب في ان يطل منها على العالم الرحيب .

* * *

كانت الاتجاهات الادبية والفكرية وقتذاك قد تعاقبت على الغرب . ومرت الاداب الاوروبية بمراحل متعددة من التطور ، اختص كل منها بخصائص معينة . فلقد اعقبت المذهب « الكلاسيكي » مذاهب اخرى ياتي على رأسها المذهب « الرومانسي » الذي فرض نفسه على ادب الغرب فترة طويلة من الزمن ، والذي كان نتيجة لتطورات كبيرة حدثت في المجتمعات الغربية . فلقد قامت الثورة الفرنسية محملة بشعارات « الحرية ، الاخاء ، المساواة » ، في الوقت الذي كان الغرب فيه يعاني من وطاة النظام الاقطاعي والانظمة الاستبدادية الاخرى التي لا تبيح للفرد ممارسة حريته باي شكل من الاشكال . كذلك فان ظهور المذهب « الرومانسي » يعتبر ردة فعل طبيعية لآداب القرن الثامن عشر . فلقد اعار ادباء هذا القرن في كتاباتهم قصور الامراء والنبلاء معظم اهتمامهم. وتميزت مؤلفاتهم الشعرية بخصائص عقلية تتنافى وطبيعة الشعر . فكان الشعر « الرومانسي » ثورة على العقل ، وتعبيرا اصيلا عن العاطفة الفردية المتضمنة مشاعر الحزن والفرح. وتوجه شعراء العصر «الرومانسي» الى الطبيعة واعتبروها الملهم الاول لهم . واعقب ذلك ، المذهب «الواقعي» الذي تميز به العصر « الفيكتوري » ، وهو عصر تميز بعدم الاطمئنان الى شيء . فلقد ظهرت لاول مرة نظرية « داروين » الشهيرة والقائلة بان الانسان لم يصل الى هذا الشكل الذي هو عليه الان ، الا بعد مراحل عديدة من التطور .

* * *

انفتحت الابواب الموصدة ، وبدأ عدد غير قليل من ادباء ومفكري الوطن العربي بالتطلع الى آداب الغرب كيما يستمدوا منها ما يمكنهم من مجاراة التطور ومتابعته . ولقد كتموا امرهم في بادىء الامر ، الى ان اتيحت لهم اللحظة المناسبة ، فقاموا يحطمون الاقفال ، ويدعون الى تسلق ذرى تمكنهم من ان يستجمعوا حضارات العالم كلها في قبضتهم ، وان ينظروا الى التطور الذي حققه الغرب على مدى قرن من الزمن ، نظرة من يرغب في ان يحقق لنفسه بعضا من الذي استطاع غيره تحقيقه ، لا نظرة الكاره المستعلي .

وكانت الدعوة الى ايجاد ادب وفكر عربيين على صلة بادب الغرب وفكره ، من جملة الدعوات التي نادت بها تلك الفئة الواعية من ابناء الوطن العربي . على ان هذه الدعوة لم تتمكن من ان تسلك طريقها المرسوم الا في الفترة التي اعقبت زوال الحكم العثماني ، حيث تهيأ الجو المناسب لتحقيق هذه الدعوة . فلقد استطاعت تلك الفئة الواعية ان تشق لنفسها طريقا عبر الحصار المضروب على الوطن العربي ، وقامت تدعو الى نقل التراث الغربي الى العربية . فاقبل نفر من الناس على تعلم اللغات الاجنبية ، ونبغ قسم منهم في تعلمها ، وكان لهم فضل كبير في نقل جزء ضئيل من الآداب الغربية الى اللغة العربية . على ان ذلك النفر الذي جند نفسه وامكانياته لتحقيق هذه المهمة الشاقة ، لم يكن يملك القدرة الكافية على العمل . فلقد تمكن الحكم العثماني من زرع البذور الفاسدة في نفوس الغالبية العظمى من ابناء الوطن العربي ، على نحو لم يعد فيه من الممكن اجتثاث هذه البذور او ايقاف نموها . وعلى هذا الاساس فقد عانت حركة الترجمة من ازمات متعددة لم تستطع الخلاص منها ، وكان من نتيجة ذلك ان تراجعت تلك الحركة مرة اخرى الى الوراء ، في الوقت الذي اشتد فيه ساعد الحركات الاخرى المناهضة لها .

ومن الامور الجديرة بالملاحظة ، ان الدعوة الى بتر كل صلة يمكن ان تنشأ بين الادب العربي والآداب الغربية قد اخذت تنشط في هذه الايام. ومن الظواهر التي تؤكد هذه الحقيقة ، الاراء التي اخذت تصدر عن بعض الفئات الداعية الى الاخذ بالمؤلفات العربية القديمة التي صدرت عن كتاب العصور الجاهلية وما بعد العصور الجاهلية ، كأساس لنهضة ادبية حديثة . ويقول اصحاب هذه الدعوة بعدم جدوى ترجمتنا لاعمال هيمنغواي او شتاينبك او سارتر او اليوت . وهم يعتمدون في دعوتهم هذه الى الفكرة القائلة بان ادبا عربيا اصيلا لا يمكن ان يخلق او يكتسب صفة الخلود ان هو لم يستمد اصوله من التراث الادبي العربي .. شعرا ونثرا وفلسفة وفنا . وهم يشيرون ـ في مجال اثبات صحة دعوتهم ـ الى الآداب الغربية . ويقولون بانها استمدت اصولها من التراث الغربي. ومجال حجتهم الاولى .. فسيح متسع . فمع الاقرار بضرورة العناية بالتراث العربي والعودة اليه في كل الاوقات ، فان هذه الحقيقة لا تنفي الفائدة التي يمكن ان نحصل عليها اذا نحن فتحنا نوافذنا على ثقافات العالم . ولقد سبقنا العرب الاوائل في هذا المجال ، وقامت عندهم ـ في وقت من الاوقات ـ حركة ترجمة واسعة النطاق ، امتدت الى معظم ثقافات العالم .

يقول الكاتب المعروف « محمد عودة » في مقال له بعنوان : «طريق السنة العاشرة » : « ان الامتصاص الثقافي والتفتح الثقافي ، تقليد عربي عميق الجذور ، وهو خاصة من جوهر خصائص الروح العربية . لقد هضم العرب وتشربوا كل فلسفات ونظم الرومان والاغريق ... وهضموا وتشربوا كل فلسفات وعلوم الهند والصين وايران ، وهضموا وتشربوا كل ما وجدوا في قرطبة وطليطلة واشبيلية » .

تلك اذن خاصة من خواص العربي .. اكتسبها من التجوال حول العالم ... والسعي الى الرزق في كل مكان ، على انها لم تلغ شخصيته وانما اكسبتها شكلا جديدا ، وزودتها بكل ما تتطلبه لكي تأخذ طريقها الى النمو والتطور .

اما الحجة الثانية التي يحتج بها الداعون الى ايصاد الابواب في وجه الثقافات الغربية فانها تنفي نفسها بنفسها . ذلك ن الغربيين لم يكتفوا بالتراث الذي يملكون ، وانما رغبوا في ان يستمدوا من ثقافات غيرهم ما يساعدهم على تطوير ثقافتهم والوصول بها الى اناى الذرى ، فكانت الترجمة والنقل هما الوسيلتان الكفيلتان بتحقيق رغبتهم .

حصيلة هذه الحقائق كلها هي ان العزلة التي فرضت على الوطن العربي فترة طويلة من الزمن ، خلقت لدى الادباء والمفكرين العرب الذين

لم يركنوا الى هذه العزلة ، نوعاً من التحدي المقرون بالرغبة في تحقيق ما هو اكثر من المستطاع . وما محاولة الفئة الواعية من ادبائنا رصد الاتجاهات الادبية العالمية الا تعبيرا عن هذا التوق الى كسب الوقت والخروج على الطوق الذي ضرب على الوطن العربي تلك القرون الطوال من الزمن ، وهي في الوقت نفسه تاكيد للفكرة القائلة بان التراث وحده.. لا يكفي .

ان العملية التي تستهدف شق طريق عبر ثقافات العالم المختلفة ، كفيلة بان تقضي على آفة الغرور التي اصابتنا ، وكذلك على رؤيتنا المسطحة للاشياء ، وتعصبنا غير المبرر . كما انها كفيلة بان تكشف لنا عن صورة جديدة للعالم .. غير التي ألفناها .

دمشق صفوان قدسي

•

التآلف الفكري سبيل الى التجاوب بين الشعوب

الذي يطلع على الصحف العربية الصادرة في بيروت ودمشق وعمان وطرابلس الغرب وتونس والخرطوم وجدة ومكة المكرمة وبغداد يجد فيها صدى بعيد الترجيع لكل مبحث ادبي او قضية فكرية شغلت بال الادباء ووجدانهم في القاهرة ، فقضية الشعر الحر والموزون المقفى ما زالت موضع اخذ ورد في الصحف السعودية . وقضية الالتزام في الادب ما انفكت بؤرة لاهتمام الصحف اللبنانية وقضية الشيوخ والشباب هي اليوم موضوع الساعة في صحف دمشق . وقضية الشكل والمضمون في النقد تستأثر الان باهتمام ادباء الخرطوم . بل ان قضية امارة الشعر التي اثارها الشاعران امين نخله وصالح جودت في مهرجان تكريم الشاعر اللبناني الاخطل الصغير ، ما زالت موضوع تعليق صحف عدن. اما قضية الكتابة بالحروف اللاتينية التي اثارها الشاعر اللبناني سعيد عقل فهي حديث الصحف العربية .

بل ان ادباء الاقطار العربية يتشيعون الى حد الخصومة الحادة حول الادباء المصريين : ففي السعودية مثلا انصار لطه حسين يناوئون انصار عباس محمود العقاد ، وما اكثرهم . وفي العراق وشمال افريقيا لا يعجبون بكاتب اعجابهم بخالد محمد خالد المفكر الشاب المجدد البعيد التوفيق.

اما صحف لبنان الادبية فتبرز على صفحاتها اسماء ادباء من القاهرة قد يكونون مجهولين في الهيئات الادبية الرسمية وشبه الرسمية .فابراهيم شكرالله ، مثلا ، تعرفه مجلة «شعر» اللبنانية وتحتفي بكتاباته وتقدمه على كثرة من كتابها . ورضوان ابراهيم قلم معروف مشهور في لبنان والسعودية . ومحمد عبد المنعم خفاجي مسموع الصوت في «العرفان» في صيدا و « الحج » في مكة المكرمة . ووديع فلسطين اسم مشرق على صفحات «الاديب» و « العلوم » اللبنانيتين . وامين يوسف غراب بلغ اوج شهرته في لبنان قبل ان يثبت قدميه الادبيتين في القاهرة ، فكان وهو مقيم في دمنهور ينشر اقاصيصه في «الاديب» فاجمع القراء على الاعجاب به وتقديره تقديرا هو اهل له . ومحمد السيد الشوشه معروف في «الصياد» ، و « الانوار » اللبنانيتين . وهلم جرا . والشاعرة روحية القليني التي لا تكاد تجد لشعرها متنفسا في القاهرة ، تنشر قصائدها العاطفية في « الاديب » كل شهر . وهلم جرا .

والغريب ان بعض هاته الاسماء يكاد يكون نكرة في الدوائر الادبية القاهرية على الرغم من ان السفارة الادبية التي اضطلع بها اصحابها في البلاد العربية سفارة بعيدة الاثر عميقة الجذور جزيلة النفع . وهذه حقيقة يخلق تدبرها حتى لا يحس اولئك الادباء بجمود او كنود ، فمن غير المعقول ان يقتصر الامر في المؤتمرات واللجان الادبية على « الادباء الرسميين » ، فلا توجه دعوة الى الادباء غير الرسميين الذين كانوا ولا يزالون ذوي مكانة بارزة في الفكر العربي المعاصر .

وقد نشرت الصحف السعودية مؤخراً مقالين مطولين عن شاعرنا الكبير الموهوب الاستاذ « محمود ابو الوفا » وقالت انه من اعظم الشعراء ، لا في يومنا بل في تاريخ الشعر العربي على اطلاقه ولكن « محمود ابو الوفا » هذا ، الذي عبر جميع التخوم بشعره وقيثارته ، والذي ترجمت اناشيده الى الانجليزية والايطالية واليونانية ، يعيش اليوم في الشارع لا ترعاه هيئة ادبية ولا تكفله جمعية من الجمعيات الكثيرة المعروفة ، مع انه مهد للتآلف الفكري العربي منذ ثلاثين عاما بما كان يكتبه نثرا وشعرا في مجلة « المقتطف » وما كانت تتناقله عنها صحف العالم العربي والمهجر .

وهناك كثيرون من المشتغلين بالادب والفكر اخذوا على عاتقهم من زمن بعيد ان يعالجوا امور الادب على صعيد عربي جامع ، لا في نطاق محلي ضيق . ومن اولئك احمد حسن الزيات الذي فتح ابواب «رسالته» على مصاريعها ليتبارى فيها ادباء العروبة بلا حدود . ومنهم محمد عبد الغني حسن الذي كان شديد الحفاوة بكل اثر ادبي نفيس ، سواء صدر في بغداد او في دمشق او في بيروت او في حلب . ومنهم حسن كامل الصيرفي الشاعر الرقيق الذي استجاب لداعي العروبة في الادب منذ اشتد عوده فكان سفيرا ممتازا ، ولا يزال . ومنهم فؤاد صروف الذي حول « المقتطف » الى جامعة عربية وتبارت فيها اقلام الادباء والعلماء من كل مصر فتآلفت حولها القلوب واجتمعت افئدة الادباء بين دفوفها . ومنهم يوسف اسعد داغر الاديب اللبناني الذي اشتهر بالفهرسة « الببليوغرافيا »فاصدر كتبا نفيسة فهرس فيها للادباء المعاصرين والقدامى على نطاق عربي وخدم بذلك الادب والبحث العلمي خدمة تزيدها الايام جلاء وعظمة . وهناك وديع فلسطين الذي كان ولا يزال صديقا لاغلب الادباء العرب المعاصرين وادباء المهجر ، فهو موضع ثقتهم والساعي لخدمتهم والمذيع فضلهم . ولا اظن ان هناك من يجاريه في صلاته الادبية التي ينشئها وينميها ويوسع نطاقها معتمدا على ذاته لا على اي وظيفة رسمية. وهناك رضوان ابراهيم الذي سجل كل حدث ادبي مهما كان صغيرا ويوافي به كبريات الدوريات الادبية لتكون واقفة على الحياة الادبية عندنا وقوفا تاما .

والذي لا ريب فيه ان التآلف الفكري الذي اسهم فيه الادباء والمفكرون، كل بحسب طاقته وظروفه ، قد مهد السبيل امام التجاوب العاطفي الذي نعهده اليوم بين الشعوب العربية . وقد كثرت بيننا الهيئات الرسمية التي من وظائفها تثبيت دعائم هذا التآلف الفكري ، سواء بتبادل الرحلات او بتنظيم المؤتمرات الادبية او باحياء ذكرى الادباء الراحلين او بتكريم الادباء وكل هذا جميل ، واجمل منه ان تنتفع تلك الهيئات بكل جهد يبذل في سبيل تحقيق الالفة الادبية ، سواء أكان فرديا ام جماعيا . فليس من الجائز ان يشقى البير اديب صاحب مجلة « الاديب » العظيمة ، مع ان مؤازرة هذه المجلة الفاخرة تخدم الفكرة العربية في اقصى اطراف الارض، وتجعل صاحبها يتعزى عما ضيعه عليها من مال وجهد وكد عشرين عاما مجيدة . فليكن تآلف الادباء ذا شقين متوازيين متعانقين : شق رسمي تتولاه الهيئات التي نيطت بها هذه المهمة وشق فردي يتعهده الادباء فرادى . والهدف الاسمى هو تحقيق التجاوب الشامل بين امة العرب في المعمور كله . (وطني)

القاهرة م. ك. بولاد



اغسطس ١٩٦١

٢٠ – اعلن ادولا وجيزنغا انه تم الاتفاق على مواصلة سياسة الوحدة التي نادى بها لومومبا للكونغو بكامله وحذرا كاتانغا من الانفصال

٢١ – عاد جونسون الى واشنطن . صرح : الايام القادمة تحمل امورا خطيرة لنا ولحلفائنا ولكننا على استعداد للوفاء بالتزاماتنا .

– عقدت الجمعية العامة جلسة استثنائية لمناقشة قضية بنزرت .

– انتخب مختار ولد داده اول رئيس لجمهورية موريتانيا .

– اعلن الملك الحسن ان المغرب سيواصل الكفاح لضم سائر اراضي المغرب فى الشمال وفى الجنوب الى الوطن المغربي .

٢٢ – المظليون الفرنسيون يوسعون منطقة احتلالهم فى بنزرت . صرح نهرو ان ازمة بنزرت اثبتت كيف يرد الاستعمار المتلاشي الضربات دون رحمة وبوحشية .

– اعتقلت دوائر الامن فى ليبيا ١٠٠ عضو فى حزب البعث بتهمة محاولة قلب نظام الحكم

٢٣ – شجب قادة الغرب فى برلين القيود الجديدة التي فرضها الشيوعيون على حركة التنقل بين قطاعي المدينة وارسلوا قواتهم الى الحدود الشرقية الغربية فى المدينة .

٢٤ – الغرب يرفض المذكرة السوفياتية التي تتعرض اول مرة لحرية الغربيين فى استعمال الممرات الجوية المؤدية الى برلين الغربية

٢٥ – اعلن بو رقيبة انه اذا استمرت فرنسا فى تجاهل السلطات الدولية بشأن بنزرت فان تونس لن تتردد فى استئناف الكفاح المسلح .

– حذرت الولايات المتحدة الاتحاد السوفياتي بشدة بان اي تدخل فى حرية مرور الحلفاء الغربيين الى برلين يعتبر عملا عدائيا تتحمل الحكومة السوفياتية مسؤوليته الكاملة .

– استقال جانيو كوادروس رئيس جمهورية البرازيل بعد مضي سبعة اشهر على رئاسته. قال فى وثيقة الاستقالة الى الكونغرس البرازيلي : لقد هزمتني الرجعية . وسيتولى الحكم نائب رئيس الجمهورية غولارت .

٢٦ – اقرت الجمعية العامة مشروع الكتلة الاسيوية الافريقية بدعوة تونس وفرنسا لعقد مفاوضات فورية تستهدف سحب القوات الفرنسية من تونس .

– سلم الحلفاء مذكرات احتجاج الى موسكو حول حق استخدام الممرات الجوية فى برلين

– انصار كوادروس يطالبون بعودته الى الحكم ويهاجمون السفارة الاميركية . العسكريون يحاصرون الرئيس المستقيل .

– استدعت الولايات المتحدة ٧٦٥ الف جندي احتياطي للخدمة .

– ابلغت الامم المتحدة تشومبي ان القوات الدولية ستوضع تحت تصرف ادولا «للتخفيف من انفصال كاتانغا» اذا رفض تشومبي السفر الى ليوبولدفيل للاجتماع بادولا . رفضت حكومة كاتانغا طلب الامم المتحدة وقال تشومبي ان شعب كاتانغا يفضل الموت على قبول حل ازمة الكونغو تحت تهديدات الامم المتحدة .

– اعلنت حكومة تشيلي انها احبطت مؤامرة يسارية تستهدف الاطاحة بها .

٢٧ – اعلنت حالة الطوارىء فى البرازيل. اعلن وزير الحرب دينيس ان الوقت قد حان للاختيار بين الديمقراطية والشيوعية واشار الى انه سيعتقل نائب الرئيس غولارت اذا عاد للاضطلاع بمنصب الرئاسة . وغولارت فى طريق عودته من زيارة الصين الشعبية .

– تألفت حكومة جزائرية مؤقتة جديدة برئاسة يوسف بن خده لم يشترك فيها رئيس الحكومة السابق عباس فرحات .

٢٨ – استولت القوات الدولية على المراكز الاستراتيجية فى جميع انحاء كاتانغا وجردت الضباط الاوروبيين فى قوات الدرك من السلاح. اعلن تشومبي ان حكومته قبلت قرار الامم المتحدة باخراج الضباط الاوروبيين من درك كاتانغا ودعا السكان الى التزام الهدوء .

– افتتح فى القاهرة مؤتمر اللجنة السياسية لميثاق الدار البيضاء .

– طلبت المانيا الشرقية حق الاشتراك في اية محادثات بين الدول الكبرى حول قضيتي المانيا وبرلين .

٢٩ – قررت الدول الغربية عدم الرد على مذكرة موسكو المرسلة فى ٣ اغسطس التي تؤكد عزم السوفيات على عقد معاهدة صلح مع المانيا . واللجوء الى الطرق الديبلوماسية على يد السفراء فى واشنطن .

– اعلنت موسكو تأخير تسريح الجنود الذين تنتهي خدمتهم هذه السنة ، حتى يتم توقيع معاهدة الصلح مع المانيا .

– مؤتمر جنيف يوافق على اقتراح سوفياتي بتحريم ادخال قوات اجنبية الى لاوس .

٣٠ – أعلن برلمان البرازيل حق غولارت نائب رئيس الجمهورية فى تولي الرئاسة. غادر غولارت باريس الى جنوب البرازيل . تحدى الجنرال خوسيه لوبيز قائد الجيش الثالث قرار مجلس الوزراء القاضي بعزله واعلن استمراره فى تأييد غولارت .

– اعرب اديناور فى رسالة الى كنيدي عن تخوفه من ان تؤدي اية نكسات جديدة يمنى بها الحلفاء فى برلين ، الى تبني المانيا الغربية فكرة الحياد .

– اعلنت موسكو استئناف تجارب التفجيرات النووية .

٣١ – وقع القرار السوفياتي باستئناف التجارب النووية كالصاعقة فى العالم . اعلن كنيدي : اسلحتنا النووية كافية وفعالة .

سبتمبر ١٩٦١

١ – افتتح فى بلغراد مؤتمر الدول غير المنحازة . حضره رؤساء ٢٤ دولة .

– فجرت روسيا قنبلة نووية فى الجو . اجريت التجربة فى منطقة سيبلاتنسك فى اواسط آسيا .

– اتفقت اميركا وبريطانيا وروسيا على استئناف محادثات نزع السلاح فى مؤتمر جنيف

– تأزم الوضع فى البرازيل فالعسكريون والحكومة يرفضون ان يتولى غولارت الرئاسة الاولى كما يرفض نائب الرئيس غولارت وحزب العمال تعديل الدستور دون استفتاء شعبي ويقوم كل من الفريقين بعمليات عسكرية استعدادا لاي اصطدام .

٢ – اعلن نهرو فى مؤتمر بلغراد ان العالم اقترب من حافة الحرب بسبب استئناف روسيا تجاربها النووية .

– احتجت المانيا الشرقية فى مذكرة الى اميركا على ارسال قوة محاربة اميركية قوامها ١٥٠٠ رجل الى برلين الغربية .

– سلم الاتحاد السوفياتي مذكرات جديدة للغرب نفى فيها حقوق الحلفاء فى الممرات الجوية المؤدية الى برلين الغربية .

٣ – صدق مجلس الشيوخ البرازيلي على تعديل الدستور . غولارت يعلن انه سيتقيد بقرار الكونغرس . ضمن قادة الجيش تنصيب غولارت رئيسا للجمهورية رغبة فى وضع حد للنزاع الذي كاد يؤدي الى حرب اهلية .

٤ – مؤتمر بلغراد يوافق على اقتراح عبد الناصر بدعوة خروشوف وكنيدي للاجتماع والتفاوض لانقاذ السلام .

– فجرت روسيا قنبلة نووية ثانية .

– اعلن خروشوف ان الوضع الدولي متازم لكن العلاقات التجارية حسنة وهذه دلالة طيبة

٥ – صرح ديغول : اذا اراد الروس زحزحة

الغرب عن مراكزه في برلين فسيلجأ الغرب للقوة ولو ادى ذلك الى حرب عالمية . قال انه مصمم على اقامة دولة جزائرية وتنظيم علاقات فرنسا بها وحل قضية الصحراء . واعلن انه لا يعترف للامم المتحدة باية سلطة في قضية بنزرت ودعا الى حلها بين فرنسا وتونس وحدهما

– قررت اميركا استئناف تجاربها النووية.

– عاد المظليون الفرنسيون الى مهاجمة بنزرت وقع قتيلان و ٢٠ جريحا بين السكان التونسيين .

٦ – دعا خروشوف الحلفاء الى حضور مؤتمر دولي لعقد معاهدة الصلح مع المانيا . وقال علي هذا الاساس يمكن اعادة الوضع في برلين الغربية الى حالته العادية .

– مؤتمر اقطاب دول عدم الانحياز في بلغراد يضع وثيقتين تاريخيتين : نداء من اجل السلام. وبيان بوجهة نظر المؤتمر في قضايا العالم والشعوب

٧ – اجتمع نهرو بخروشوف . وجه نهرو الى خروشوف نداء ملحا للسلم. رد خروشوف بان روسيا لا تريد الحرب ولكنها تعتبر الاجراءات الغربية سببا لاتخاذ ما تراه لازما. صرح نهرو بعد المقابلة : رياح الحرب تعصف مرة اخرى .

– وصل نهرو ونكروما الى موسكو واجتمعا بخروشوف وابلغاه نداء بلغراد لتفاوض الشرق والغرب لتفادي نشوب حرب عالمية .

– اقسم نائب الرئيس البرازيلي جاو غولارت اليمين الدستورية كرئيس للجمهورية

– مذكرات غربية لروسيا بشأن برلين . رفض شكوى موسكو وتدخلها في الممرات الجوية

٨ – رحب خروشوف ببيان كنيدي في ٣٠ اغسطس عن احتمال الوصول الى تسوية للقضية الالمانية عن طريق المفاوضات . اعلنت روسيا رفضها الاقتراح البريطاني الاميركي بوقف التجارب النووية في الفضاء .

٩ – نجا ديغول من محاولة لاغتياله فيما اخترقت سيارته جدارا من النيران على طريق ريفية منعزلة .

– اميركا وبريطانيا تقرران تعزيز قواتهما في المانيا بزيادة ٩٠ الف جندي .

١٠ – تم اعتقال شخصيات فرنسية كبرى لها علاقة بمحاولة اغتيال ديغول بعد اعترافات ادلى بها المتهم بوضع القنبلة والذي تم اعتقاله

– بدأ وصول القوات السعودية في القوة العربية الى الكويت .

– شب حريق كبير في دار السفارة السوفياتية في وشنطن .

– خروشوف يتفاءل بحل ازمة برلين عن طريق المفاوضات .

١١ – عدل الملك سعود الوزارة السعودية.

– تبادلت تونس وفرنسا الافراج عن الف اسير

– روسيا تزيد ٨٠٠ الف جندي على قواتها

١٢ – وصل سوكارنو وكيتا الى واشنطن واجتمعا بكنيدي وسلماه رسالة مؤتمر بلغراد

– تشومبي يدعو همرشولد لزيارة كاتانغا ويحذر من عواقب استرجاعها بالقوة .

١٣ – وصل همرشولد الى ليوبولدفيل . كان في استقباله ادولا وجيزنجا وموبوتو .

– القوات الدولية تسيطر على كاتانغا وتنهي وضعها الانفصالي بعد قتال عنيف . بدأ همرشولد محادثاته مع ادولا رئيس وزراء الكونغو .

– كنيدي يبلغ مبعوثي بلغراد استعداده لمفاوضة خروشوف .

– قامت روسيا بتفجيرها النووي التاسع منذ استئناف تجاربها .

١٤ – موسكو وواشنطن تستعدان للمفاوضة، غروميكو وراسك يجريان محادثات تمهيدية حول مشكلتي المانيا وبرلين .

– طلب حاكم الكويت من بريطانيا سحب قواتها بعد ان بدأت القوات العربية في الوصول

– استمرت المعارك بين القوات الدولية وجنود تشومبي في اليزابت فيل .

١٥ – حكم على رئيس جمهورية تركيا السابق جلال بايار ورئيس الوزراء عدنان مندريس و ١٣ شخصا اخرين من حكومة مندريس بالاعدام لخرقهم الدستور التركي وبالسجن مدى الحياة لـ ١٥ والمؤبد لـ ٣٢ متهما . احكام السجن ما عدا الاعدام غير قابلة للتعديل .

– بو رقيبة ينذر باستئناف القتال في بنزرت اذا تمسكت فرنسا بالمطالبة بمركز عسكري داخل المدينة .

– اذيع في كل من تونس والرباط والقاهرة خطاب وجهه يوسف بن خده رئيس حكومة الجزائر المؤقتة الى الشعب الجزائري .

– قوات كاتانغا تقصف المراكز المحتلة والدوليون يعززون قواتهم بالاسلحة الثقيلة.

١٦ – نفذ حكم الاعدام على وزير خارجية تركيا السابق فطين زورلو ووزير المالية حسن بولاتكان وسينفذ على مندريس حالما يسترد صحته على اثر محاولة انتحار قام بها وخفض حكم الاعدام على الباقين الى السجن مدى الحياة

– اكدت اميركا ان محادثات نزع السلاح مع روسيا ارجئت الى اجل غير محدود .

١٨ – لاقى همرشولد حتفه في حادثة سقوط طائرته وهي في طريقها من ليوبولدفيل الى روديسيا الشمالية للاجتماع بتشومبي ، وقد ارسلت الامم المتحدة لجنة للتحقيق في الحادث .

– اعلمت فرنسا الولايات المتحدة رفضها الاشتراك في محادثات برلين مع الاتحاد السوفياتي في الظروف الراهنة .

– فقد حزب اديناور (الحزب الديمقراطي المسيحي) اكثريته النيابية المطلقة في انتخابات المانيا الغربية ، وقد استبعد اديناور قيام حكومة ائتلافية بين حزبه والحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي يتزعمه براندت .

– بدأت القوات الانكليزية المرابطة في الكويت بالانسحاب بعد وصول طلائع قوات الامن العربية التي ستحل محلها .

١٩ – بدأت القوات الفرنسية بالانسحاب من مواقعها في مدينة بنزرت الى مراكزها السابقة في القاعدة ، اعلن ان فرنسا وتونس تكادان تتوصلان الى اتفاق على قضية بنزرت

– دعت لجنة الزعامة في الحزب الديمقراطي المسيحي اديناور لتولي منصب المستشارية مجددا في المانيا الغربية .

٢٠ – انتخبت الجمعية العامة المنجي سليم المندوب التونسي رئيسا لها بالاجماع .

– عين الجنرال كونستانتين دفاس رئيسا للحكومة الانتقالية التي ستشرف على الانتخابات في اليونان .

– تم الاتفاق بين الامم المتحدة وحكومة كاتانغا على وقف اطلاق النار في كاتانغا .

٢١ – بدأت في نيويورك محادثات راسك – غروميكو حول ازمة برلين ومشكلة خلف همرشولد .

– القى ديغول خطابين فقال عن برلين ان على الغرب ان يكون حازما فلا يتراجع .وقال عن الجزائر ان من الضروري انهاء الاستعمار فيها وتسليم زمام البلاد الى اهلها بعد الاتفاق على مصير المستوطنين .

– عاد الى الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح بعد ان اجرى محادثات مع الملك سعود وحكومته في الرياض .

٢٢ – وافقت اللجنة التوجيهية للامم المتحدة على ادراج قضية قبول الصين الشعبية في جدول اعمال الجمعية العامة بعد معارضة دامت عشر سنوات .

– بريطانيا والكويت ترفعان العلاقات الديبلوماسية بينهما الى مستوى السفراء .

– ثوار فييتنام الجنوبية يشنون هجوما على القوات الحكومية ويستولون على موقع استراتيجي .

– المؤتمر البرلماني الدولي المنعقد في بروكسل اوصى بوقف التجارب النووية وبالتفاوض بين الشرق والغرب وبقبول الصين الشعبية في الامم المتحدة .

٢٣ – اعلن اللواء قاسم ان الجيش العراقي قد قضى على الحركة الانفصالية الكردية في شمال العراق التي تزعمها الملا مصطفى البارزاني . واتهم الانكليز بتحريك هذه الثورة بمساعدة الاميركان .

مطبعة الغريب شارع هوفلين - بيروت - ت: ٢٤٦١٨٥